

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

بغداد ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

مطبعة العاني ـ بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلى المجاهدين القُدامَى الذين بذلــوا أرواحهم لنشر لغة القرآن وتعاليمه في ربوع إفْرِيقيَّة

وإلى المجاهــدين الجُدُد الــذين بذلــوا أرواحهم لتثبيت دعائم لغة القرآن وتعاليمه في إفريقية

أقــدم ســيرة بطــل من أبطــال فتح إفريقية : عقبة بن نافع الفهري ·

محمود شيت خطّاب

المقـــــدمة

هذا البحث فصل من فصول كتابي : قادة فتح المغرب ، وهو الكتاب الرابع من سلسلة : قادة الفتح الاسلامي الذين نشروا الاسلام شرقاً وغربا •

إن عقبة بن نافع كان ولا يزال وسيبقى المثل الاعلى للقائد الفاتح والبطل الفذ والمؤمن الحق في المغرب ، لذلك حاول الاستعمار بأذنابه الانتقاص من قدره قائداً ليحطموا تأثيره العميق في نفوس العرب والمسلمين في شمالي افريقية •

فاذا نفّذ بعض المستشرقين مخططات الاستعمار في الانتقاص من قدر عقبة بن نافع في النفوس والعقول معاً ، فما عذر المستغربين من أبناء العرب والإسلام الذين اقتفوا آثار أولئك المشبوهين ، فانتقصوا من قدر عقبة كما فعل أسيادهم من قبل ؟!

إنّ الذي يريد أن يحطم الصخرة الصلدة برأسه ، لا يفعل شيئاً أكثر من تحطيم رأسه •

لقد بقي عقبة قمة شامخة في التاريخ ، وبقي حياً في أعماق نفوس العرب والمسلمين ، وذهبت جهود المستشرقين والمستغربين ادراج الرياح ، وصدق الله العظيم : « ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين »•

عُقْبَة بن نافِع الفِهْري القرشي

فاتح زَوِيلَة[1] وغَدَامِس[2] وبعض كور[3] السودان وفَزّان[4] وعامة بلاد البَرْبَر[5] وبَاغَايَة[6] وبلاد الزاب[7] وطَنْجَة[8] والسوس الأدنى[9] والسوس الأقصى[10] واختط القَيْرَوان[11]

« يا رب ! لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيلك »

« عقبة بن نافع »

نســـبه وأهـله

هو عُقْبَة بن نافع بن عبدالقَيْس بن لَقِيْط بن عَامِر بن أمية[12]

---

(١) زويلة : مدينة من مدن فزّان القديمة ، تقع في الجنوب الشرقي من (مرزق) بنحو (١٥٠) كم ، وتبعد عن مدينة طرابلس الى الجنوب الشرقي بنحو (٧٧٠) كم ، ويعبر عنها المؤرخون بـ (زويلة السودان) احترازا عن زويلة افريقية التى بناها عبيدالله المهدي بقرب تونس ، وكانت زمن الفتح الاسلامي عاصمة فزان بدل مرزق . انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٢٤) ومعجم البلدان (٤/٤١٨ ـ ٤١٩) وآثار البلاد (٩٤) والمشترك وضعا (١٣٦) والمسالك والممالك (٣٤) .

(٢) غدامس : اسمها البربرى القديم (سيداموس) ، وهي واحة من واحات طرابلس الغرب الصحراوية ذات شكل مستدير تقريبا ، وتقع في الجنوب الغربى من مدينة طرابلس على بعد (٥٠٠) كم على جهة المسامتة ؛ اما على الطريق الذى يمر بالعزيزية وبئر الغنم ، وتيجى ، ونالوت ثم يذهب الى سيناون ، فتبعد عنها حوالى (٦٥٨) كم . وهى من أقدم مراكز الحضارة في صحراء طرابلس . انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٧٣) ومعجم البلدان (٦/٢٦٨) وتقويم البلدان (١٤٦) .

(٣) كورة : جمعها كور ، والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها اسم الكورة كقولهم : كورة نهر الملك ... الخ . انظر معجم البلدان ١/٣٦) .

(٤) فزان : واحة من واحات طرابلس الجنوبية ، يحدها من الشمال الجبال السود (الهروج) ، ومن الجنوب جبال (التبو) وحدود السودان ، ومن الغرب الطريق الذى يصل بين غدامس وغات ، ومن الشرق خط الطول في الدرجة (١٨) . وطولها من الشرق الى الغرب (٩٠٠) كم ، ومن الشمال الى الجنوب (٨٠٠) كم ، وارتفاعها على سطح البحر نحو (٥٠٠) متر ،

ابن الضَرِب بن الحارث بن فِهْر القرَشي[١٣] .

أبوه : نافع بن عبد القيس الفهري ، كان ممن نخس بزينب بنت

وفيها وديان يبلغ انخفاضها في بعض الاماكن نحو (١٥٠) مترا تحت سطح البحر ، ومساحتها أكثر من (٣٠٠) ألف كيلومتر مربع . انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٧٥) ومعجم البلدان ٦/٣٧٤ ـ ٣٧٥) .

(٥) بلاد البربر : تمتد من جبال المغرب من برقة الى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب الى بلاد السودان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٠٤ ـ ١٠٦) .

(٦) باغاية : مدينة كبيرة في أقصى افريقية بين مجانة وقسنطينة ، وهي حصن بربرى قديم ، وكان سكانها من البربر والروم . انظر معجم البلدان (٢/٤١) وتاريخ المغرب الكبير (٤٢) .

(٧) بلاد الزاب : بلاد واسعة من مدنها بسكرة وقسنطينة وقفصة . وهي كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الاعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٦٤ ـ ٣٦٥) والمشترك وضعا (٢٢٩ ـ ٢٣٠) . وفي تاريخ المغرب الكبير (٢/٤٢) أن بلاد الزاب يطلق عليها اليوم : ولاية قسنطينة .

(٨) طنجة : مدينة قديمة على البحر بينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٦٢) والمسالك والممالك (٣٤) وتقويم البلدان (١٣٢) .

(٩) السوس الادنى : كورة كبيرة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس مدينة بالمغرب كانت الروم تسميها : قمونية . وبين السوس الادنى والسوس الاقصى مسيرة شهرين وبعده المحيط الاطلسي . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٧٢) والمشترك وضعا (٢٥٩) .

(١٠) السوس الاقصى : أقصى بلاد البربر على المحيط ، والسوس الاقصى أسم مدينة الا أنها كورة عظيمة ذات مدن وقرى و سعة وخصب يحتف بها طوائف من البربر . انظر التفاصيل في المسالك والممالك (٣٤) والمشترك وضعا (٢٥٩) ومعجم البلدان (٥/١٧٢) .

(١١) القيروان : مدينة كبيرة عاصمة مراكش . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٩٣ ـ ١٩٥) والاعلاق النفيسة (٣٤٧ ـ ٣٤٨) والمسالك والممالك (٣٤) وتقويم البلدان (١٤٤ ـ ١٤٥) وآثار البلاد (٢٤٢) .

(١٢) الاصابة (٥/٨١) وأسد الغابة (٣/٤٣٠) وفي نسب قريش (٤٤٥) : انه عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن أمية .

(١٣) جمهرة أنساب العرب (١٧٦ ـ ١٧٧) ونسب قريش (٤٤٤) وانظر الخلاصة النقية (٥) والاستقصا (١/٦٩) والبيان المغرب (١/١٩) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجّهت مهاجرة إلى المدينة المنوّرة[14] فأفزعها ، وكانت حاملاً فألقت ما في بطنها بعد أيام[15] ، وقد مات قبل فتح مكة مشركاً في رواية[16] ، وفي رواية أخرى : أنه أسلم وكان مع عمرو ابن العاص في فتح مصر ، وبعثه عمرو الى (بَرْقَة[17]) ، وقد بقي إلى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[17أ] .

وأمه : سبيّة من (عَنَزَة) اسمها : النابغة ، فهو أخو عمرو بن العاص لأمه[18] . وفي رواية : أنه ابن خالة عمرو بن العاص[19] ؛ وفي رواية : أن عمرو بن العاص خاله[20] ؛ وفي رواية : أنه ابن أخي العاص ابن وائل السهمي لأمه[21] ؛ وعلى كل فعقبة من أقرباء عمرو بن العاص من جهة الأم أولاً ومن جهة الأب أيضاً على اعتبار أنهما من قريش .

ولد عقبة قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م)[22] ، وفي رواية ، أنه ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة[23] ، وهذه الرواية لا صحة لها ، لأن عقبة شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص واختط بها[24] ، وكان فتح مصر سنة عشرين الهجرية[25] ، كما تولى

---

(١٤) الاصابة (٥/ ٨١) وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٢) .
(١٥) أنساب الاشراف (١/ ٣٩٧) .
(١٦) الاصابة (٥/ ٨١) .
(١٧) برقة : اسم صقع كبيرة يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية ، واسم مدينتها : انطابلس ، وتفسيره الخمس مدن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ١٣٣) .
(١٧أ) انظر التفاصيل في الاصابة (٦/ ٢٢٦) .
(١٨) جمهرة أنساب العرب (١٦٣) .
(١٩) المغرب في حلى المغرب (١/ ١٩) طبعة جامعة فؤاد الاول وأسد الغابة (٣/ ٤٢٠) والاستيعاب (٣/ ١٠٧٥) .
(٢٠) الاصابة (٥/ ٨١) .
(٢١) سير اعلام النبلا (٣/ ٣٤٩) .
(٢٢) الخلاصة النقية (٥) .
(٢٣) البيان المغرب (١/ ١٣) وبغية الرواد (١/ ٧٦) .
(٢٤) الاصابة (٥/ ٨١) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٩) .
(٢٥) ابن الاثير (٢/ ٢١٨) .

قيادة جيش من جيوش المسلمين في فتح (زويلة) سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين • الهجرية ، فليس من المعقول أن يشهد عقبة غمار الحرب وعمره عشر سنين وأن يتولى قيادة جيش وعمره إحدى عشرة أو اثنتا عشرة سنة !

لقد نشأ عقبة في بيئة إسلامية خالصة ذات طابع عسكري بحت ، فحمل سلاحه مجاهداً في العصر الذهبي للفتح الاسلامي الخالد ، وبرز في ساحات القتال متحملاً قسطه الأوفى من الجهاد بحرص واندفاع وتجرّد وإقدام •

نشأ في بيئة إسلامية خالصة ، فقد ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصحّ له صحبة(٢٦) ، ويقال : له صحبة ولا يصلح(٢٧) ، وعلى كل حال فهو صحابي بالمولد وهو آخر من ولى المغرب من الصحابة(٢٨) ، وقد تولى منصب القيادة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانوا لا يؤمرّون في الفتوح غير الصحابة(٢٩) ، وكان عمر بن الخطاب لا يولي إلا الصحابة ولا يرضى أبداً أن يعمل صحابي تحت قيادة غير صحابي •

ونشأ في بيئة ذات طابع عسكري بحت : أهله من بني (فهْر) لهم ماض مشرف في الحروب ولهم حاضر مشرف في الفتح ، وأقرباؤه وعلى رأسهم عمرو بن العاص هم أبرز قادة الفتح ، وقومه قريش هم قادة الفتح وأمراء الأمصار ؟ وكانت أيامه التي عاشها منذ أول شبابه أيام الفتح الاسلامي الذهبية وأيام الجهاد الخالدة •

لقد تهيأ الجو المناسب والظروف المناسبة والبيئة المناسبة لعقبة ،

---

(٢٦) الاصابة (٥/٨١) وأسد الغابة (٣/٢٤٠) وتجريد أسماء الصحابة (٣١٦ ـ ٣١٧) والاستيعاب (٣/١٠٧٥) •

(٢٧) الاصابة (٥/٨١) • ولا يصلح : أي لا يصلح للصحبة لصغر سنه •

(٢٨) الاستقصا (١/٦٩) •

(٢٩) الاصابة (٢/١٩٤) •

فاجتمع في تكوينه : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، ليكون قائدا من ألمع قادة الفتح الأسلامي على الأطلاق خاصة في مناطق المغرب العربي •

جهـــــاده

١ ـ في مصر وليبيا والنوبة

أ ـ شهد عقبة فتح مصر تحت لـواء عمرو بن العاص واختلط بها كما أسلفنا ، فاكتسب عقبة من معارك فتح مصر ومن أساليب عمرو بن العاص في ادارة القتال خبرة عملية ، وبرزت مواهبـه القيادية بصورة مبكرة حينذاك •

ب ـ بعثه عمرو بن العاص على رأس جيش من العرب المسلمين الى (زَوِيلَة) ، فافتتحها صلحاً[٣٠] وصار ما بين (بَرْقَة) و (زويلة) سلماً للمسلمين[٣١] ، وكان ذلك سنة احدى وعشـرين الهجرية[٣٢] • وقد كتب عمرو بن الاص الى عمر بن الخطاب يعلمه : أنه قد ولى عقبة ابن نافـع الفهري المغرب ، فبـلغ (زويلة) ، وأن مَنْ بين (زويلة) و (برقة) سلم كلهم حسنة طاعتهم • قد أدى مسلمهم الصدقة ، وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل (زويلة) ومن بينه وبينها مارأى أنهم يطيقونه ، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها على الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل الى مصر ، وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ، ومن أهل الصلح صلحهم[٣٢آ] •

جـ ـ وفي هذه السنة ، أي سنة احدى وعشرين الهجرية ، بعثـه عمرو الى (النُوْبَة)[٣٣] ، فلقي المسـلمون مـن (النوبـة) قتالاً شديداً ، ثم انصرف المسلمون من (النوبة)[٣٤] ، وبذلك كان عقبة أول

(٣٠) ابن الاثير (٣/٨) والطبري (٣/٢٢٧) والبلاذرى (٢٢٦) •
(٣١) المغرب في حلى المغرب (١/٤٥) والطبري (٣/٢٢٧) •
(٣٢) ابن الاثير (٣/٨) والطبري (٣/٢٢٧) •
(٣٢آ) البلاذري (٢٢٦) •
(٣٣) النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر ، أول بلادهم بعد أسوان • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢٣) •
(٣٤) اليعقوبي (٢/١٣٤) •

من مهّد لفتح (النوبة) من المسلمين[٣٥] •

د ـ لقد قدّر عمرو بن العاص أهمية الحدود الغربية والجنوبية لمصر ، لذلك بعث عقبة إلى (زويلة) وسار هو إلى (ليبيا) وبعث عقبة أيضا إلى (النوبة) ، وبذلك كان لعقبة فضل كبير في تأمين الحدود الغربية والجنوبية لمصر •

هـ ـ وحين كان عمرو بن العاص على مصر ، كان عقبة على رأس المسلمين حالية ل (برقة) •وعزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر سنة خمس وعشرين[٣٦] وعقد عثمان لعبدالله بن سعد بن أبي سرح على مصر كلها مضافاً (للصَّعِيْد)[٣٧] وغيره[٣٨] ، فأقرّ ابن أبي سرح عقبة على منصبه قائداً لحامية (برقة) •

و ـ وسار عبدالله بن سعد بن أبي سرح بجيشه البالغ تعداده عشرين ألفاً[٣٩] سنة ست وعشرين الهجرية[٤٠] ، فلما وصلوا الى (برقة) لقيهم عقبة فيمن معه من المسلمين الذين كانوا حامية هناك ، فساروا جميعا الى (طَرابُلُس) الغرب فنهبوا من عندها من الروم[٤١] •

وشهد عقبة فتوحات ابن ابي سرح في افريقية ، وأبلى في جهاده تحت راية ابن أبي سرح أعظم البلاء •

---

(٣٥) يرى بعض المؤرخين أن غزو زديلة والنوبة شيء واحد وغزوة واحدة لمكان واحد ! وأرى أن هاتين الغزوتين اللتين حدثتا في سنة واحدة هما غزوتان منفصلتان : الاولى انتهت صلحا والثانية انتهت بقتال شديد •

(٣٦) النجوم الزاهرة (١/٧٩) وتهذيب الاسماء واللغات (١/٢٧٠) والولاة والقضاة (١١) • وفي العبر (١/٢٩) انه عزل سنة سبع وعشرين الهجرية •

(٣٧) الصعيد : بلاد واسعة كبيرة فيها مدن عظام منها أسوان وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفط وأخميم والبهنسا وغير ذلك • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٠) •

(٣٨) النجوم الزاهرة (١/٦٦) •

(٣٩) البلاذري (٢٤٧) •

(٤٠) ابن خلدون (٢/١٢٩ الملحق) •

(٤١) ابن الاثير (٣/٣٤) وابن خلدون (٢/١٢٩ الملحق) •

ز ـ لقد كان عقبة على رأس حـامية (برقة) ، يحمي الحدود الغربية لمصر ، فلا يدع الروم يهاجمون مصر من اتجاه ليبيا ، وقد حافظ على تلك المنطقة حتى في أخطر الظروف والأحوال •

كما أنه حمى منطقة (برقة) من الروم ، فأصبحت تلك المنطقة القاعدة المتقدمة للمسلمين التي ينطلقون منها الى فتح (افريقيّة) ؛ لذلك كان عقبة ذا فائـدة عظيمة للمسلمين من الناحية العسكرية •

٢ ـ في البحـــر

أ ـ بقي عقبة في (برقة) بعد ابن أبي سرح أيضاً في أيام معاوية بن حُدَيج السّكوني ، وفي سنة تسع وثلاثين الهجرية غزا عقبة الروم في البحر بأهل مصر[٤٢] •

ب ـ وفي سنة تسع وأربعين الهجـرية في أيام معـاوية بن حـديج السّكوني ، غزا عقبة الروم في البحر فشتا هناك بأهل مصر[٤٣] •

٣ ـ من ليبيا الى القـــيروان

أ ـ الفتح :

بقي عقبة في (برقة) بعد عثمان بن عفان وفي أيام علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، وفي سنة احدى وأربعين الهجرية ، استعمل عمرو ابن العاص العاص عقبة على (افريقية)[٤٣أ] ، فانتهى الى (لَوَاتة)[٤٤] ،

---

(٤٢) الطبري (٤/١٧٣) وابن الاثير (٣/١٨١) •
(٤٣) البيان المغرب (١/١٣) وابن الاثير (٣/١٨١) •
(٤٣أ) كانت مصر وافريقية ولاية واحدة في أيام ولاية عمرو بن العاص أيام معاوية بن أبي سفيان •
(٤٤) لواته : من أشهر قبائل البربر ، كانت زمن الفتح العربي الاسلامي تسكن (برقة) ، وهي من أكبر بطون البربر البتر ، ينسبون الى (لو) الاصغر بن (لو) الاكبر ، و (لو) الاصغر هو (نغزاو) ، والبربر اذا أرادوا الجمع زادوا الالف والتاء فقالـوا : (لوات) ، فلمـا عرّبته العرب حملوه على الافراد ، وألحقوا به الهاء • انظر كتاب : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (١١ ـ ١٢) ، وانظر الولاة والقضاة (٣٢) • وفي جمهرة أنساب العرب (٤٩٨) ، وردت : (لواته) بفتح اللام • وأن (لواته) من القبط ، ولا صحة لذلك بل هم من البربر •

وكانوا قد صولحوا فكانوا على صلحهم حتى نقضوا زمن معاوية بن ابي سفيان ، فغزاهم عقبة فتنحّوا ناحية (أطْرَابُلُس) ، فقاتلهم عقبة حتى هزمهم ، فسألوه أن يصالحهم ويعاهدهم ، فأبى عليهم وقال : « انه ليس لمشرك عهد عندنا . ان الله عزّ وجل يقول في كتابه : (كيف يكون للمشركين عهد) ، ولكن أبايعكم على أنكم توفوني ذا متى ، ان شئنا أقررناكم وان شئنا بعناكم »[45] . وعقد عمرو لعقبة على (هَوّارة)[46] فأطاعوا هم و (لواته) ثم كفروا ، فغزاهم عقبة من سنته فقتل وسبى[47]. وفي سنة اثنتين وأربعين الهجرية افتتح عقبة (غَدامِس) وقتل وسبى . وفي سنة ثلاث وأربعين الهجرية افتتح كوراً من كور السودان[48] . وافتتح (وَدّان)[49] ثانية وهي من (برقة) سنة ست وأربعين الهجرية[50] ،

---

(٤٥) الولاة والقضاة (٣٢) .

(٤٦) هوّارة : وردت في ابن الاثير (٣/١٦٧) : (مزاتة) ، وفي ابن خلدون (٣/١٠) : (مرانة) ، ووردت في : الولاة والقضاة (٣٢) وفي تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٦٦) : (هوارة) ، وهي أشهر قبائل البربر ، وهي بطن من (البرانس) تنسب الى (هوار بن أوريغ بن برنس) جد البرانس . ومن بطون هوارة : غريان وورفل وسراته وسلاته ومجريس وسلاته ، وغريان ومجريس أبناء هوار . وكانت مواطنهم زمن الفتح حول طرابلس الى ما يقارب سرت والى قصر ميمون من ناحية الجنوب . وكانت هواره ظواعن وأهلين ، ومنهم من رحل الى بلاد السودان ، وما زالوا يقال لهم : (هكار) قلبت العجمة واوها كافا أعجمية . انظر تاريخ الفتح العربي في ليبيا (١١ ـ ١٢) .

(٤٧) في الولاة والقضاة (٣٣) أن ذلك جرى سنة ثلاث وأربعين .

(٤٨) ابن الاثير (٣/١٩٧) وابن خلدون (٣/١٠) والعبر (١/٥١) وشذرات الذهب (١/٥٣) .

(٤٩) ودّان : مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبية ، ويتبعها : زلة وهون وسوكنه وما جاورها ، ويطلق على الكل : بلاد ودّان ، وكانت ودان زمن الفتح الاسلامي هي العاصمة ، وتقع ودان في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بنحو (٧٦٩) كم ، والى جنوبي سرت بنحو (٢٨٠) كم. انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٤٧) ، وانظر معجم البلدان (٨/٤٠٥) والمشترك وضعا (٤٣٥) .

(٥٠) معجم البلدان (٨/٤٠٥) والحلة السيراء (٢/٣٢٣) .

فقد خرج عقبة في هذه السنة حتى نزل بـ(مغداش)[٥١] من (سُرْت)[٥٢]، وكانت (ودان) نقضت عهدها الذي عاهدت عليه بُسر بن أبي أرطاة سنة ثلاث وعشرين الهجرية ، فترك عقبة جيشه بـ (مغداش) في أرض (سُرْت) ، واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ، وسار اليها في أربعمائة فارس وأربعمائة جمل وثمانمائة قربة ماء على كل جمل قربتان لحمل الماء ، فلما وصلها أبى أهلها الا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلداً بلداً ، وقبض على ملكهم فجدع أذنه ، فقال : « لِمَ فعلت هذا بي ؟! » ، فقال عقبة : « فعلت هذا بك أدباً لك . اذا مسست اذنك ذكرته فلا تحارب العرب ! » واستخرج منهم ما كان بُسر بن ابي أرطاة فرضه عليهم سنة ثلاث وعشرين الهجرية : ثلاثمائة رأس وستين رأساً من العبيد .

ولما استتب الأمر لعقبة في بلاد (ودّان) ، سأل عقبة أهلها : هل من ورائكم من أحد ؟ » ، فقيل له : (جَرْمَة)[٥٣] ، فسار اليها ثماني ليال من (ودّان) ، فلما دنا منها دعا أهلها الى الاسلام ، فأجابوا ؛ فنزل

---

(٥١) مغداش : بلد قريب من (سرت) في طرابلس الغرب بليبيا . انظر هامش : فتوح مصر والمغرب (٢٦٢) .

(٥٢) سرت : مدينة قديمة تقع على الخليج المسمى بها الان ، وهذا الخليج يمتد من مدينة مصراته ، الى الجنوب حتى بويرات الحسون ، ثم يتجه شرقا الى العقيلة على مسافة (٥٨٥) كـ.م من مصراته ، ثم يتقوس الى الشمال حتى مدينة بنى غازي مسافة (٢٨٥) كـ.م ، ومدينة بنى غازي في الشرق تقابلها مدينة مصراته في الغرب ، ويقع خليج سرت جنوبى الخط الوهمي الذى يصل بين المدينتين .

وسرت تبعد عن البحر الى الجنوب بنحو أربعة كيلومترات ، وتقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس الغرب بنحو (٥٥٤) كـ.م ، وكانت محاطة بسور من التراب ، وهي غير سرت المعروفة الآن ، لان سرت الحديثة انشئت في العهد العثماني سنة ١٣٠٣هـ . انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٢٦) وانظر معجم البلدان (٥/٦٢) .

(٥٣) جرمة : اسم قصبة بناحية فزّان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٨٩) وهى عاصمة بلاد فزّان في أيام الفتح الاسلامي . و سميت جرمة باسم أمة : الجرمنت ، وهي أمة قديمة كانت تسكن فزان . انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٦٩) .

منها على ستة أميال • وخرج ملكهم يريد عقبة، فأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه ، فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب[٥٤] ، وكان ناعماً فجعل يبصق الدم ، فقال له : « لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً ؟! » ، فقال عقبة : « أدباً لك ! اذا ذكرته لم تحارب العرب » ؛ وفرض عليهم ثلاثمائة عبد وستين عبداً •

ومضى عقبة على من فوره لأنجاز فتح بلاد (فزّان) حتى أتى على آخرها ، ونشر الأسلام في ربوعها ، وهذه أول مرة دخل فيها العرب بلاد فزّان فاتحين[٥٥] •

وسأل عقبة أهل (فزّان) : « هل من ورائكم أحد ؟ » ، فقالوا : « أهل (خاوَر)[٥٦] ، وهو قصر عظيم على رأس المغازة في وعورة على ظهر جبل ، وهو قصبة (كاوار)[٥٧] » ؛ فسار اليه خمس عشرة ليلة ، فلما وصل اليه دعا أهله الى الاسلام فأبوا ، وطلب منهم الجزية فامتنعوا بحصنهم ، فحاربهم وأقام على حصارهم شهراً دون جدوى • وتقدم بجيشه جنوباً لفتح بقية بلاد (كاوار) ، ففتحها حتى أتى على آخرها وقبض على ملكهم وقطع إصبعه ، فقال : « لِمَ فعلت هذا بي ؟ » ، فقال عقبة : « أدبا لك ! اذا أنت نظرت الى اصبعك لم تحارب العرب » •••ثم ثم فرض عليهم ثلاثمائة عبد وستين عبداً[٥٧] •

وكان في نيّة عقبة أن يمضي قدماً في مجاهل الصحراء ، فسأل أهل (كاوار) : « هل من ورائكم أحد ؟ » ، فقال الدليل : « ليس عندي

---

(٥٤) اللغوب : التعب والاعياء •

(٥٥) فتوح مصر والمغرب (٢٦٢ ـ ٢٦٣) وانظر تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٦٩) •

(٥٦) خاور : اكبر مدينة في كورة كاوار ، وهي قصبة كاوار ، وتقع في جنوبي فزّان • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٩٤) •

٥٧) كاوار : ناحية واسعة في جنوبي فزّان بها مدن كثيرة ومياه جارية ونخل كثير • انظر معجم البلدان (٧/٢١٠) •

(٥٨) فتوح مصر والمغرب (٢٦٣) وتاريخ الفتح العربي في ليبيا (٦٩ ـ ٧٠) •

بذلك معرفة ولا دلالة » ؟ فانصرف عقبة راجعاً ، فمرّ بقصر (خاوَر) ، فلم يعرض له ولم ينزل بهم ؟ ثم سار ثلاثــة أيام فأمنوا وفتحوا مدينتهم • وأقام عقبة بمكان اســمه اليوم (ماء فَرَس) ولم يكن به ماء ، فاصابهم عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ودعا الله • وجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فانفجر الماء منها ، فجعل الفرس يمصّ ذلك الماء • وأبصره عقبة فنادى في الناس : « ان احتفروا » ، فحفروا سبعين حِسْياً[٩٥] وشربوا واستقوا ، فسمى ذلك المكان لذلك : (ماء فَرَس) •

ورجع عقبة الى (خاوَر) من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلاً ، فوجدهم مطمئنين قد تمهّدوا في أسرابهم ، فاستباح ما في المدينة من ذريّاتهم وأموالهم ، وقتل مقاتلتهم •

لقــد كانت عـودة عقبــة المفاجئة بجيشه الى (خاور) حركــة بارعة جداً ، طبّق بهــا عقبــة مبدأ (المباغتة) بالـزمان ، فأطبق على (خاور) في وقت لم يتوقعه أهلها •

وانصرف عقبة بعد فتح (خاور) حتى نزل بموضع (زويلة) اليوم ، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر ، وقد جمّت خيولهـم وظهورهم •

لقد أقدم عقبة على التغلغل في الصحراء بقوات قليلة خفيفة ، لأن الحركة في الصحراء صعبة جداً بقوات كبيرة لقلّة المياه فيها ، ولأنــه قدّر أنه لن يصادف في تغلغله قوات ضاربة كبيرة للعدو ، لأن قوات الـروم النظامية لن تستطيع القتال في مثل هذا الميدان ، وانما ميدانها المناطق الساحلية التي تتوفّر فيها المياه والقضايا الادارية الأخرى ، فليس أمام عقبة غير قوات سكان الصحراء الأصليين ، وهؤلاء قليلون يمكن التغلّب عليهم بقوات خفيفة قليلة كما فعل عقبة •••

ذلك ما حدا بعقبة على الاقدام لفتح تلك المناطق الصحراوية بقوات

---

(٥٩) الحسى : الحفرة القريبة العمق •

خفيفة منتخبة ، وفعلاً أنجز واجبه وحقق هدفه في الفتح الصحراوي بسهولة ويسر •

وسار عقبة بجيشه الى المغرب ، وجانب الطريق الأعظم[٦٠] وأخذ الى أرض (هوارة)[٦١] ، وفتح كل قصر بها[٦٢] • ومضى الى (صِفْر)[٦٣] ، فافتتح قلاعها وقصورها • ثم بعث خيلاً الى (غدامس) فاستعاد فتحها ثانية ، والظاهر أنها نقضت عهدها بعد فتحها الأول ، فاضطر عقبة الى فتحها ثانية • وتوجه الى (قَفْصَة)[٦٤] فافتتحها ، ثم افتتح (قَسْطِيْلِيَة)[٦٥] ، ثم انصرف الى (القَيْرَوان)[٦٦] •

لقد طهّر عقبة بهذا الفتح كل المقومات المعادية بين (برقة) و (القيروان) فأصبحت هذه المنطقة خالصة للمسلمين ، حَرِيّة أن تكون قاعدة رصينة تنطلق منها القوات الاسلامية لفتح شمالي افريقية حتى المحيط الأطلسي •

---

(٦٠) يقصد بالطريق الاعظم : الطريق الساحلي جنوبي جبل نفوسة • انظر تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٧١) •

(٦١) هوارة : وردت في فتوح مصر والمغرب (٢٦٤) : مزاته ، والصحيح ما ذكرناه ، وهوارة قبيلة بربرية •

(٦٢) من تلك القصور ، قصر ميمون من ناحية الجنوب – جنوبي طرابلس الغرب – سرت • •

(٦٣) صفر : وردت كذا في فتوح مصر والمغرب (٢٦٤) ، واسمها الحالي : صفرو ، وهي مدينة في شمال المغرب في قلب جبال أطلس الوسطى •

(٦٤) قفصة : بلدة بتونس وكان لها شأن كبير في عهد الرومان ، انظر فتوح مصر والمغرب (٢٦٤) ، وهي بلدة صغيرة في طرف افريقية (تونس) من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بينها وبين القيروان ثلاثة أيام • انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣٨/٧) •

(٦٥) قسطيلية : احدى بلاد الزاب الكبير بالمغرب تقع في أقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٨/٧) وفتوح مصر والمغرب (٢٦٤) •

(٦٦) فتوح مصر والمغرب (٢٦٤) •

ب ـ القاعدة الامينة (القيروان)

وصل عقبة إلى (القيروان) الذى كان في مدينة (قَمُونِيَة)[٦٧] والذي كان معاوية بن حُديج قد بناه من قبل ، فلم يعجب به[٦٨] ، فقد كان مكان (القيروان) وهو ناحية في الوسط الشرقي لأفريقية ليست ضاربة في الشمال فتكون جبلية ولا ضاربة في الجنوب فتكون رملية ، وكان (القيروان) منه بجانب سبخة • لقد كان العرب منذ أيام عبدالله بن سعد ابن ابي سرح يؤثرون (قمونية) لنزولهم ، لأنها بسيط من الأرض ، كثير المراعي ، جيد الهواء ، خصب التربة ، كثير المياه[٦٩] ، ولكن مكان (قمونية) ليس صالحاً ـ من الناحية العسكرية ـ ليكون قاعدة أمينة لقوات المسلمين ، لان بعض غير المسلمين يسكنون (قمونية) مع المسلمين ، وقد يكون بعض هؤلاء رتلاً خامساً[٦٩أ] على المسلمين ، وما أخطر ذلك على المسلمين وهم في جهاد دائب لفتح افريقية ونشر الاسلام في ربوعها •

والقيروان معناه : مدينة أو معسكر أو مسلحة[٧٠] ، ولفظ قيروان فارسي معرّب أصله : كروان أو كربان ، ومعناه قافلة ، أو مراح القوافل ، ويفهم من لسن العرب أنه كان مستعملاً حتى في الجاهلية بهذا المعنى ، اذ روى ان امرأ القيس قال في وصف غارة له :

« وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال »[٧١]

---

(٦٧) قمونية : مدينة بأفريقية كانت موضع القيروان • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٦٢) • والقيروان معرب : كاراوان الفارسية ، وتكلمت به العرب قديما ، والنسبة اليه : قيرواني وقيروي ، ويطلق على القافلة وعلى الجيش ومناخ القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب ، ويظهر أنه أطلق على المكان لنزول الجيش فيه أو القافلة • انظر كتاب : تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٧١) •

(٦٨) فتوح مصر والمغرب (٢٦٤) وأسد الغابة (٣/٤٢٠ ـ ٤٢١) والاستيعاب (٣/١٠٧٦) •

(٦٩) تاريخ المغرب الكبير (٢/٢٨) •

(٦٩أ) الرتل الخامس : ما يطلق عليه في مصر : الطابور الخامس ، وهم من المخربين والجواسيس ••• الخ •

(٧٠) المسلحة : جمعها ، مسالح • والمسلحة هم الجماعة المسلحون المعدون للقتال •

(٧١) معجم البلدان (٧/١٩٣) •

ومن معاني القيروان : معظم العسكر ، والقافلة من الجماعة ، وموضع اجتماع الناس والجيش ، ومحط أثقال الجيش ، وقيل : هي الجيش نفسه •

وليس هناك ما يؤيد القول : بأن القيروان ، كان علماً على مدينة قديمة بافريقية ، اختطت القيروان مكانها ، فلم يبق الا القول بأن عقبة وأصحابه أرادوا به محطاً لقوافلهم ومراحاً لعسكرهم(٧٢) •

قال عقبة لرجاله : « ان افريقية اذا دخلها إمامٌ أجابوه للاسلام ، فاذا تركها رجع من كان أجاب منهم لدين الله الى الكفر ؛ فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر » ، فاتفّق الناس على ذلك وأن يكون أهلها مرابطين قرب البحر ليتمّ لهم الجهاد والرباط • وقال لعقبة بعض اصحابه : « قَرِّبْها من البحر ليكون أهلها مرابطين » فقال لهم : « إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر ، لان صاحب المركب لا يظهر من اللجّة حتى يستره الليل ، فهو يسير الى ساحل البحر الى نصف الليل ، فيخرج ، فيقيم في غارته الى نصف النهار ، فلا تدركها منه غارة أبدا • فان كان بينها وبين البحر مالا يجب فيه التقصير(٧٢أ)، فأهلها مرابطون ، ومن كان على البحر فهم حرس لهم ، وهم عسكر معقود الى آخر الدهر ، وميّتهم في الجنة » ؛ فاتفق رأيهم على ذلك فقال : « قرّبوها من السبخة ، فقالوا : « نخاف أن تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرّها في الصيف » ، فقال : « لابدّ لي من ذلك ، لأنّ أكثر دوابكم الأبِل ، وهي التي تحمل عسكرنا ، والبربر قد تنصّروا وأجابوا النصارى الى دينهم ، ونحن اذا فرغنا من أمرها لم يكن لنا بدّ من المغازي والجهاد ، ونفتح الأول منها فالأول ، فتكون إبلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى » فركب الى موضع (القيروان)

---

(٧٢) فتح العرب للمغرب (١٥٣ ـ ١٥٤) وانظر معالم الايمان (١/٧) •

(٧٢أ) تقصير الصلاة •

اليوم وكان غيضة كثير الاشجار مأوى الوحوش والحيات ، فأمر بقطع ذلك واحراقه[٧٣] .

وكان مع عقبة عشرة آلاف فارس ، وانضاف اليه من أسلم من البربر ، فكثر جمعه فأمر ببناء القيروان سنة خمسين الهجرية وأنجز بناءها سنة خمس وخمسين الهجرية ، وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان محيطها ثلاثة آلاف وستمائة باع ، فأصبحت المدينة عسكراً للمسلمين وأهلهم وأموالهم يأمنون من ثورة تكون من أهل البلاد ، فقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة (القيروان) وأمنوا واطمأنوا على المقام ، فثبت الاسلام فيها . وكان عقبة في أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ، ودخل كثير من البربر في الاسلام ، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين[٧٤] ، وصارت القيروان مدينة كبيرة وعاصمة الاسلام في المغرب[٧٥] ، وأصبحت القيروان القاعدة الامينة للمسلمين في شمال افريقية .

---

(٧٣) انظر رياض النفوس (١/٦-٧) والبيان المغرب (١/١٣-١٤) ، وفيهما : أن رجاله قالوا له : « انك أمرتنا بالبناء في شعار وغياض لاترام ، ونحن نخاف من السباع والحيّات وغير ذلك من دواب الارض » ، وكان في عسكره خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر ذلك تابعون ، فدعا الله عز وجل وجعل أصحابه يؤمنون على دعائه . ومضى الى السبخة وواديها ونادى : « أيتها الحيات والسباع ، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارحلوا عنا فأنا نازلون ، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه » . ونظر الناس بعد ذلك الى أمر معجب ، من أن السباع تخرج من الشعار تحمل أشبالها والذئب يحمل جروه ، والحيّات تحمل أولادها ، ونادى في الناس : « كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا » . فلما خرج ما فيها من الوحش والهوام ، وهم ينظرون اليها ، نزل عقبة الوادي وأمرهم أن يقطعوا الشجر . وانظر آثار البلاد (٢٤٢) وابن الاثير (٣/١٨٤) وأسد الغاية (٣/٤٢٠ - ٤٢١) .

(٧٤) ابن الاثير (٣/١٨٤) وانظر ابن خلدون (٣/١٠) . وفي البيان المغرب (١/١٦) أن محيطها كان (١٣٦٠٠) ذراعا .

(٧٥) تاريخ المغرب الكبير (٢/٢٨) .

٤ ـ من القيروان الى المحيط

في سنة خمس وخمسين الهجرية استعمل معاوية بن أبي سفيان مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصاري الخزرجي على مصر وافريقية وعزل عقبة عن افريقية[٧٦] ، فاستعمل مسلمة على افريقية مولى له يقال له : أبو المهاجر دينار ، فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به[٧٧] وسجنه وأوقره حديداً[٧٧أ] فأقام في الحبس شهوراً ثم أطلقه[٧٨] حين أتاه كتاب معاوية بن أبي سفيان بتخلية سبيله وإشخاصه اليه[٧٩] .

وسار عقبة الى الشام وعاتب معاوية على ما فعله به أبو المهاجر ، فاعتذر معاوية اليه ووعده أن يعيده الى عمله[٨٠] ، وفي رواية : أنه توجه إلى الشام فلما قدم على معاوية وجده قد توفى[٨١] ، فردّه يزيد والياً على (افريقية) سنة اثنتين وستين الهجرية[٨٢] .

وسار عقبة الى (افريقية) من الشام حتى قدم على (القيروان) بعشرة آلاف فارس ، فأخذ أبا المهاجر وحبسه وقيّده وأخذ ما معه من الأموال ، وجدد بناء (القيروان) وشيدها ونقل اليها الناس ، فعمرت وعظم شأنها[٨٢أ] .

وخرج عقبة بأصحابه وبكثير من أهل (القيروان) الى المغرب بعد أن ترك في (القيروان) جنداً مع الذرارى والاموال ، واستخلف بها زهير

---

(٧٦) البيان المغرب (١/١٦) .
(٧٧) ابن الاثير (٣/١٨٤) .
(٧٧أ) فتوح مصر والمغرب (٢٦٥) .
(٧٨) اليعقوبي (٢/٢٠٤) .
(٧٩) فتوح مصر والمغرب (٢٦٥ ـ ٢٦٦) .
(٨٠) ابن الاثير (٣/١٨٤) .
(٨١) رياض النفوس (١/٢٢) .
(٨٢) سير أعلام النبلاء (٣/٧٤٩) .
(٨٢أ) رياض النفوس (١/٢٢) .

ابن قيس البلوى[٨٣] . وخرج بأبي المهاجر معه موثقاً ، فدعا بأولاده قبل مغادرته (القيروان) وقال لهم : « اني قد بعت نفسي من الله عز وجل ، فلا أزال أجاهد من كفر بالله »[٨٤] ، ثم قال : « يا بني ! أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيّعوها : اياكم أن تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن ، فأن القرآن دليل على الله عز وجل ، وخذوا من كلام العرب ما يهتدى به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهوا عما وراءه . وأوصيكم ألا تداينوا ولو لبستم العباء ، فأن الدين ذل بالنهار وهمّ بالليل ، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم وتبقَ لكم الحرمة في الناس ما بقيتم . ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين فيجهلوكم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ؛ ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والاحتياط ، فهو أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا » . ثم قال : « عليكم سلام الله ، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا » ، ثم قال : « اللهم تقبل نفسي في رضاك ، واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك »[٨٥] .

وسار عقبة في عسكر عظيم حتى انتهى الى مدينة (بَاغَـايَة) ، لا يدافعه أحد ، والروم يهربون في طريقه يميناً وشمالاً ، فحاصرها وقد اجتمعوا بها وقاتلهم قتالاً شديداً[٨٦] فانهزموا عنه وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وغنم منهم غنائم كثيرة . واحتمى المنهزمون داخل أسوار المدينة ، فكره المقام عليهم[٨٧] .

ورحل عقبة فنزل على (تِـلِمِـسَان)[٨٨] وهي من أعظم مدائنهم ، فانضم اليها من حولها من الروم والبربر ، فخرجوا اليه في جيش ضخم

---

(٨٣) في رياض النفوس (١/٢٢) : انه استخلف على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلدي .

(٨٤) ابن الاثير (٤/٤٢) .

(٨٥) رياض النفوس (١/٢٢) .

(٨٦) رياض النفوس (١/٢٣) .

(٨٧) ابن الاثير (٤/٤٢) .

(٨٨) تلمسان : مدينة بالمغرب اسمها القديم : أقادير ، على بعد مرحلة من وهران . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٠٩) .

لجب • والتحم القتال ووقع الصبر ، حتى ظن المسلمون انه الفناء ، ولكنهم هاجموا الروم هجوماً عنيفاً حتى الجأوهم الى حصونهم ، فقاتلوهم الى أبوابها ، وأصابوا منهم غنائم كثيرة(٨٩) •

وسار عقبة الى بلاد الزاب ، فسأل عن أعظم مدينة في بلاد الزاب ، فقيل له (أَرَبَة)(٩٠) وهي دار ملكهم ، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة ، فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى ، وهرب بعضهم الى الجبال ، فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى ، ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم(٩١) •

ورحل عقبة الى (تَاهَرْت)(٩٢) ، فاستغاث الروم بالبربر ، فأجابوهم ونصروهم ، فقام عقبة في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « أيها الناس ! ان أشرافكم وخياركم الذين رضى الله تعالى عنهم وأنزل فيهم كتابه ، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على من كفر بالله الى يوم القيامة ، وهم أشرافكم والسابقون منكم الى البيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة • وأنتم اليوم في دار غربة ، وانما بايعتم رب العالمين ، وقد نظر اليكم في مكانكم هذا ؟ ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلباً لرضاه واعزازاً لدينه ، فأبشروا ! فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى ، وربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالقوهم بقلوب صادقة ، فأن الله عز وجل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه ، والله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين » • والتقى المسلمون معهم وقاتلوهم قتالاً

(٨٩) رياض النفوس (١/٢٣) •

(٩٠) أربة : اسم مدينة بالمغرب من أعمال الزاب ، وهي أكبر مدينة بالزاب • انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٧٦) ، وقد وردت في رياض النفوس (١/٢٣) : أدنة •

(٩١) ابن الاثير (٤/٤٢ وانظر رياض النفوس (١/٢٣) •

(٩٢) تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال لاحداهما : تاهرت القديمة ، وللاخرى : تاهرت المحدثة • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٦٩) •

شديداً[٩٣] ، واشتد الأمر على المسلمين لكثرة العدو ، ولكنهم انتصروا أخيراً ، فانهزمت الروم والبربر ، وأخذهم السيف وكثر فيهم القتل ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم[٩٤] .

وسار عقبة حتى نزل على (طَنْجَة) ، فلقيه بطريق من الروم[٩٥] اسمه (يليان) فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه[٩٦] . وأراد عقبة فتح الأندلس ، فقال له يليان : « أتترك كفّار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوحة الهلاك مع الفرنج ، ويقطع البحر بينك وبين المدد ؟! » ، فقال عقبة : « وأين كفّار البربر ؟! » ، فقال : « في بلاد السوس ، وهم أهل نجدة وبأس » . فقال عقبة : « وما دينهم ؟ » ، فقال : « ليس لهم دين ولا يعرفون أن الله حق ، وانما هم كالبهائم » ، وكانوا على دين المجوسية يومئذ ؛ فتوجّه عقبة ، فنزل على مدينة (وَلِيْلى)[٩٧] بأزاء جبل (زَرْهُون)[٩٨] وهي يومئذ من أكبر مدن المغرب فيما بين النهرين العظيمين (سَبُو)[٩٩] و (ورغة)[١٠٠] ، وهذه المدينة هي المسماة اليوم على لسان العامة بـ (قصر فرعون) ، فافتتحها عقبة وغنم وسبى[١٠١] .

---

(٩٣) رياض النفوس (١/٢٣ - ٢٤) .

(٩٤) ابن الاثير (٤/٤٢) .

(٩٥) في تاريخ المغرب الكبير (٢/٤٤) : انه يليان الغماري ، ملك غمارة ، وهو بربري . وفي فتح العرب للمغرب (١٩٢) : انه قوطي من اسبانيا كما يؤكد مؤرخو الاندلس .

(٩٦) ابن الاثير (٣/٤٢) .

(٩٧) وليلى : مدينة بالمغرب قرب طنجة . انظر معجم البلدان (٨/٤٣٤) .

(٩٨) زرهون : جبل بقرب فاس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٨٨) .

(٩٩) سبو : نهر بالمغرب قرب طنجة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤٢) .

(١٠٠) ورغة : نهر بالمغرب ، ولم يرد ذكره في معجم البلدان .

(١٠١) الاستقصا (١/٧٣) .

وانتهى عقبة الى (السوس الأدنى) وهو مغرب طنجة ، فقاتل جموع البربر الكثيرة وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، وبعث خيله في كل مكان هربوا اليه ؛ ثم سار حتى وصل الى السوس الأقصى ، وقد اجتمع له البربر في عـالم لا يحصى ، فلقيهم وقاتلهم وهـزمهم . وسـار عقبة حتى بلغ (مَالَيَان)[١٠٢] ورأى البحر المحيط ، فقال : « يارب ! لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك »[١٠٣] ، ثم قال : « اللهم اشهد . اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بـك ، حتى لا يعبد أحد من دونك »[١٠٤] .

٥ ـ الشـهيد

رجع عقبة الى (القيروان) ، فلما انتهى الى ثغر (افريقية) وهـي (طُبْنَةَ)[١٠٤أ] أذن لمن معه من أصحابه أن يتفرّقوا ويقدموا (القيروان) فوجاً فوجاً ثقة منه بما نال العدو وانه لم يبق أحد يخشاه ![١٠٥] .

ومال عقبة بخيل يسيرة يريد (تَهُوْذَة)[١٠٦] ، وكان معه حوالي ثلاثمائة فارساً[١٠٧] ، فلما رآه الروم في قلّة طمعوا فيه فأغلقوا الحصن وشتموه وهو يدعوهم الى الاسلام فـلم يقبلوا منه[١٠٨] .

---

(١٠٢) مالبان : بلد في أقصى بلاد المغرب ليس وراءه غير البحـر المحيط . انظر معجم البلدان (٣٦٧/٧) .
(١٠٣) ابن الاثير (٤٢/٣ ـ ٤٣) .
(١٠٤) رياض النفوس (٢٥/١) .
(١٠٤أ) طبنة : بلدة في طرف افريقية مما يلي المغـرب على ضفة الزاب . انظر التافصيل في معجم البلدان (٢٨/٦) .
(١٠٥) ابن الاثير (٤٣/٤) ورياض النفوس (٢٥/١) .
(١٠٦) تهوذة : اسم لقبيلة من البربر بناحية افريقية ، لهم أرض تعرف بهم . انظر معجم البلدان (٤٣٨/٢) وهي مدينة في جنوب جبـال أورانس وفي الجنوب الشرقي لمدينة طبنة وتبعد عنها بمسافة ٥و٣٧ ميل . انظر تاريخ المغرب الكبير (٤٦/٢) .
(١٠٧) الخلاصة النفية (٥) والاستقصا (٧٤/١) .
(١٠٨) ابن الاثير (٤٣/٤) .

وبعث الروم إلى (كَسِيْلَة)[١٠٩] الذي كان في عسكر عقبة مضمراً للغدر ، فلما راسله الروم أظهر ما كان بضمره وجمع أهله وبني عمه وقصد عقبة ، فقال أبو المهاجر : « عاجله قبل أن يقوى جمعه » ، وكان أبو المهاجر موثقاً في الحديد مع عقبة ، فزحف عقبة على (كسيلة)، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه ؛ فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزناً ان ترتدي الخيل بالقنـا   وأتـرك مشـدوداً عليّ وثاقيـا

اذا قمت عناني الحـديد وأغلقت   مصـارع من دوني تصم المناديـا

فبلغ عقبة ذلك ، فاطلقه وقال له : « الحق بالمسلمين وقم بأمرهم ، وأنا أغتنم الشهادة » ، فلم يفعل وقال : « وأنا أيضا أريد الشهادة » . وكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم ، فقتل المسلمون جميعهم[١١٠] ومعهم عقبة وقتل معه زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين في أرض الزاب بـ (تهوذة)[١١١] .

---

(١٠٩) كسيلة بن لمزم الأوربي البرنسي : كان أميرا على البرانس كلهم ، وكان نصرانيا جمع الجموع من البربر والفرنج وزحف نحو المسلمين فهزمه أبو المهاجر وأسره فأسلم كسيلة على يدي أبي المهاجر ، وكانت قيادة أوربة لكسيلة منذ سنة (٥١هـ) . وقد حسن اسلام كسيلة فاستصفاه أبو المهاجر واتصلت بينهما صداقة موصولة الاسباب . وكسيلة هذا هو الذى قتل عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين الهجرية فصفا له الجو وخضع له المغرب من أقصاه الى أقصاه واحتل القيروان وطرد جميع العرب من بلاد المغرب ، وخضع له الروم الذين كانوا في المغرب أيضـا ، وكوّن في المغرب دولة مغربية ظلت أكثر من خمس سنوات ، وقد قتله زهير بن قيس البلوى سنة تسع وستين الهجرية . انظر ابن الاثير (٤/٤٣ ـ ٤٤) وتاريخ المغرب (١/٦٤) والاستقصا (١/٨١) والبرانس من قبائل البربر ، وأوربة بطن من بطون البرانس .

(١١٠) ابن الاثير (٤/٤٣) .

(١١١) الاستقصا (١/٧٤) .

استشهد عقبة سنة ثلاث وستين الهجرية[112] (٦٨٣م) في معركة (تهوذة) ، وكان مولده قبل الهجرة بسنة واحدة كما أسلفنا (٦٢١م) وقبره يزار بالزاب[113] ، كما أن أجداث الصحابة الشهداء الـذين استشهدوا معه بمكانهم من أرض الزاب يزارون لهذا العهد ، وقد جعل على قبورهم اسنمة ثم جصّصت ، واتخذ على المكان مسجد عرف باسـم عقبة وهو في عداد المزارات[114] .

كان صحابياً بالولادة ، وكان ادارياً حازماً : اختط القـيروان سنة خمسين الهجرية ، والقيروان اليوم حيث اختطها عقبة[115] ، كما اختط المسجد الاعظم وكان يصلي فيه[116] ، فكانت هذه المدينة منذ اختطاطها اسلامية بحت لا يسكنها غيرهم كما قال عقبة : « .... ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم (غير المسلمين) رأياً ، ولكن رأيت أن أبني ههنـا مدينة يسكنها المسلمون »[117] ، كما أصبحت القـيروان مقـراً لعسـكر المسلمين[118] .

لقد كان عقبة على جانب عظيم من الورع والتقوى ، وكان مجاب الدعوة[119] ، ولا نعلم أنه شـارك في الفتنـة الكبـرى بين على بن أبى طالب معـاوية بن أبى سفيان بلسانه أو بسيفه ، بل كان حينـذاك حامية في ثغور المسلمين في منطقة (برقة) . كما لا نعرف أنه أثرى من الفتح أو

---

(١١٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٤٩) والبـداية والنهايـة (٨/٢١٧) وابن الاثير (٣/٤٣) والاصابة (٥/٨١) والحلة السيراء (٢/٣٢٣) .

(١١٣) الخلاصة النقية (٥) .

(١١٤) الاستقصا (١/٧٤) .

(١١٥) الاستيعاب (٣/١٠٧٦) .

(١١٦) رياض النفوس (١/٧) .

(١١٧) آثار البلاد (٢٤٢) .

(١١٨) أبو الفداء (١/١٨٧) .

(١١٩) الاستيعاب (٣/١٠٧٧) وأسد الغابة (٣/٤٢١) وسير أعلام النبلاء (٣/٣٤٩) والحلة السيرا (٢/٣٢٣) .

شغل نفسه بالغنائم والبناء ، بل إنه كرّس حياته كلها للجهاد ، وكان يوصي ولده بقوله : « لا تقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من ثقة وان لبستم العباء ، ولا تكتبوا ما يشغلكم عن القرآن »[١٢٠] .

وكان له عقب ، وولده بمصر والشام وافريقية[١٢١] ، وكان ذا شجاعة وحزم وديانة[١٢٢] .

لقد كان مثالاً حياً للسلف الصالح من العرب المسلمين خلقاً وورعاً وشجاعة وحزما ، وقد نشر الاسلام في مناطق واسعة من شمالي افريقية وخاصة بين قبائل البربر ذات الشجاعة والرجولة والاقدام ، الذين كانوا نصارى ، وفشا الاسلام الى أن اتصل ببلاد السودان وبالبحر المحيط[١٢٣] .

القائـــــد

١ ـ كان عقبة من أولئك الرجال الذين ابتلوا بافراط المعجبين به قائداً انسانا ، وتفريط الناقدين له قائداً .

أفرط المعجبون بقيادته ـ وخاصة من المؤلفين القدامى ـ فجعلوا منه القائد الأول والأخير في فتح (افريقية) ، وأسبغوا على أعماله العسكرية طابع الخوارق والكرامات .

وأفرط المعجبون به انساناً ، فجعلوا منه شخصية هي أقرب الى أولياء الله الصالحين منها الى الرجل المجاهد الصابر المحتسب الذي نذر نفسه لله ولعقيدته .

وكان من تفريط الناقدين به قائداً ، انهم جعلوا منه قائداً فاشلاً : لا هدف له من حملته الكبرى ولا خطة له في ادارة الحرب ، وحتى لم يعمل على نشر الاسلام حسب خطة مرسومة وغاية واضحة[١٢٤] .

(١٢٠) الاصابة (٥/٨١ ـ ٨٢) .
(١٢١) الاصابة (٥/٨١) .
(١٢٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٤٩) .
(١٢٣) جمل فتوح الاسلام لابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٤٤) .
(١٢٤) انظر فتح العرب للمغرب (٢٠٢ ـ ٢٠٣) ، وآمل أن يعيد المؤلف الفاضل النظر فيما كتبه عن عقبة في الطبعات الجديدة لهذا الكتاب القيم .

فما هي حقيقة قيادة عقبة بعيداً عن الافراط والتفريط واستناداً على الحقائق التاريخية العسكرية البحت دون تحيّز ومحاباة ولا تجن وتحامل ؟؟

٢ ـ كان عمرو بن العاص أول من اكتشف مزايا عقبة العسكرية ، فولاّه بموافقة عمر بن الخطاب وفي أيام خلافته قيادة جيش من جيوش المسلمين .

ولست أشك أن توليته مثل هذا المنصب لم يكن لأنه كان قريب القرابة لعمروا بن العاص ، اذ أن عمراً كان له أقرباء كثيرون ، فلماذا يؤثر عقبة بالقيادة على غيره من ذوي قرباه ؟! وقد يتساهل من يؤثر أقرباءه على غيرهم من الناس في اعطائهم المناصب الادارية التي تؤمن لهم الراحة والسلطة والمال ، أما أن يؤثرهم بالمناصب القيادية على غيرهم ، فأمر فيه نظر ، اذ أن مثل هذه المناصب تقود أصحابها الى حتوفهم وتقود رجالهم الى المهالك ، وتؤدي بسمعة من ولاّهم القيادة الى الحضيض !... فليس بالمتوقع من مثل عمرو بن العاص ـ وهو من هو دهاءً وبعد نظر ـ أن يولي مناصب القيادة أحد اقربائه لانه قريبه فقط دون أن يكون قديراً على قيادة الرجال ممارساً لادارة القتال . واذا جاز أن يجري مثل ذلك في أيام غير أيام عمر بن الخطاب ، فمن المستحيل أن يجرى مثل ذلك في أيام عمر بن الخطاب(١٢٥) .

لقد تولى عقبة منصب القيادة بعد أن بذل جهوداً مشرفة في فتح مصر، وبعد أن لمس عمرو بن العاص بنفسه تلك الجهود ، لذلك لم يستطع أمراء مصر بعد عمرو أن يعزلوا عقبة عن منصبه القيادي وبقي قائداً حتى سنة خمس وخمسين الهجرية في أيام مسلمة بن مخلد ، ولم يكن عزله حينذاك لعجزه ، وانما كان لاسباب أخرى سترد وشيكا .

ولم يخيب عقبة ظن عمرو بن العاص به ، فنجح في فتح (زويلة)

---

(١٢٥) انظر الشروط التي كان يلاحظها عمر بن الخطاب في تولية القادة في كتاب : (الفاروق القائد) ص (٣٣ ـ ٣٦) .

وأمن الحدود الغربية لمصر وصار ما بين (زويلة) و (برقة) سلما للمسلمين وذلك سنة إحدى وعشرين الهجرية • كما أن عمرو بن العاص بعثه في ذلك العام الى (النوبة) فكان أول من مهد لفتح النوبة من المسلمين وأمن الحدود الجنوبية لمصر •

وقد تسنّم عقبة منصب قيادة حامية (برقة) لحماية الحدود الغربية لمصر ، فحمى تلك الحدود في أيام عمرو بن العاص في عهد عمر بن الخطاب وأوائل عهد عثمان بن عفان ، فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبدالله بن سعد بن أبي سرح سنة خمس وعشرين الهجرية أقرّه على منصبه وكان من أبرز قادته الذين عاونوه في فتح (افريقية) أيام عثمان بن عفان •

وبقي عقبة في أيام علي بن أبي طالب على حامية (برقة) فلم يعزله عنها قيس بن سعد بن عُبادة الانصاري الذى تولى مصر سنة سبع وثلاثين الهجرية لعلي بن أبي طالب(١٢٦) ، ولم يعزله عنها محمد بن أبي بكر الصديق الذي تولى مصر سنة سبع وثلاثين الهجرية لعلي بن أبي طالب أيضا(١٢٧) •

وأصبح عقبة على (إفريقية) منذ سنة إحدى وأربعين الهجرية حين استعمله عمرو بن العاص في أيام ولايته الثانية على مصر ، وبقي عليها في أيام عبدالله بن عمرو بن العاص وفي أيام عتبة بن أبي سفيان الذي تولى مصر سنة ثلاث وأربعين الهجرية(١٢٨) وفي أيام عقبة بن عامر الجهني ،

وفي أيام معاوية بن حديج السّكوني الذي تولى مصر سنة سبع وأربعين الهجرية(١٢٩) أقر ابن حديج عقبة على قتال إفريقية ، وهو الذي بعثه سنة خمسين الهجرية لغزو إفريقية(١٣٠) •

---

(١٢٦) الولاة والقضاة (٢٠) •
(١٢٧) الولاة والقضاة (٢٧) •
(١٢٨) الولاة والقضاة (٣٥) •
(١٢٩) ابن الاثير (٣/١٨) والبيان المغرب (١/٤٧) •
(١٣٠) البلاذري (٢٣٧) •

وبعد عزل ابن حديج عن إفريقية سنة خمسين الهجريـة ، أقرّ معاوية بن أبي سفيان عقبة عليها ووجهه لفتحها[١٣١] •

هكذا بقي عقبة قائدا في إفريقية طيلة أيام عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلي بن ابي طالب وشطراً من أيام معـاوية بن ابي سـفيان ، وعمل بامرة عدد كبير من أمراء مصر طيلة عهود هؤلاء الخلفاء الاربعـة أي منذ سنة إحدى وعشرين الهجرية الى سنة خمس وخمسين الهجرية ، فلم ينزعه عن قيادته خليفة ولا أمير ، وهـــذا دليل واضح على ما كان يتمتع به من كفاءة وكياسة ومقدرة ، لأنهم جميعاً كانـوا بحـاجة ماسة الى خبرته الطويلة المفيدة في شؤون إفريقية ، ولأنه كان جندياً فحسب متفرغا للجهاد بعيداً عن التيارات السياسية •

لقد أصبح على مر الأيام خبيراً بقتال إفريقية ، وكان سـيفه دائماً للعرب المسلمين ••• لا عليهم •••

٣ ـ فما هي حصيلة أعماله في هذه الفترة من توليه منصب القيادة في إفريقية ؟

فتح (زويلة) ومهّد لفتح (النوبة) وأمّن الحـدود الغربيـــة والجنوبية لمصر قاعدة الفتح الأسلامي الرئيسية في إفريقية ، وعاون ابن أبي سرح وابن حديج في فتح افريقية ، وحمى (برقة) القاعدة الأمامية للفتح في إفريقية من الروم ومـن البربر حتى في أيام الفتنـــة الكبرى والحروب الداخلية بين علي بن أبي طالب ومعـاوية بن أبي سـفيان ، وغزا البحر مرتين ، وافتتح (غدامس) وكوراً من كور السودان واستعاد (ودّان) ، وفتح (فزّان) حتى أتى على آخرها وفتح بـلاد (كاوار) حتى أتى على آخرها أيضاً ، وفتح قصر (خاور) مطبقاً مبدأ (المباغتة) على أحسن وجه •

لقد كان عقبة في هذه الفترة من قيادتـــه أول من فتح (زويلة) وأول من مهّد لفتح (النوبـــة) وأول من أدخـــل العرب فاتحين الى

---

(١٣١) البيان المغرب (١/١٩) •

(فزان) ، وأول من نشر الأسلام في ربوع ليبيا ، وأول من تغلغل فاتحاً في الصحراء الليبية •

وأخيراً توج أعماله بناء (القيروان) القاعدة الأمينة المتقدمة للمسلمين ، حتى إذا أنجز بناءها سنة خمس وخمسين الهجرية ، واستعد لاستئناف الفتح مستنداً على تلك القاعدة الأمينة ، جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ، إذ عُزل عقبة عن (إفريقية) في الوقت الذي تهيأت له كل الأسباب والاستعدادات لفتح المغرب الأوسط والأقصى ، فلم يدرك مناه ولم ينفذ كل خططه في الفتح •

تلك هي مجمل حصيلة أعماله في ميادين الحرب والدعوة في فترة ولايته الأولى ، فهل هناك من يستطيع غمزه بالتقصير أو اتهامه بأنه تولى القيادة لأنه من أقرباء عمرو بن العاص فحسب ؟ ؟

واذا لم تكن هذه المفاخر ـ بل بعضها ، كافية لتقدير قيادة عقبة ، فماذا بأمكان أي قائد أن يفعل ليستحوذ على التقدير والاعجاب ؟ ؟

لقد كانت نتائج أعمال عقبة في هذه الفترة مدعاة للفخر والأعتزاز ، وهي من الناحية العسكرية الفنية تستحق كل التقدير والأكبار •

٤ ـ فلماذا عُزل عقبة عن (إفريقية) بعد كل هذه الجهود وهذا الجهاد ؟ •

في سنة خمس وخمسين الهجرية استعمل معاوية بن أبي سفيان مَسْلَمَة بن مُخَلَد الأنصاري على مصر وإفريقية ، فعزل مسلمة عقبة عن إفريقية واستعمل مولى له يقال له : أبو المهاجر دينار •

ولم يعزل معاوية أو مسلمة عقبة عن إفريقية لريبة أو تقصير ، ولكن معاوية أراد أن يكافيء مسلمة الذي كان من أبرز أعوانه على اخلاصه له ، فولاه مصر مكافأةً له ووفاء بحقه عليه •

فقد كان مسلمة عثمانياً في أيام عثمان ، ولم يتزعزع أبداً عن إخلاصه لعثمان ، حتى بعد قتله : فقد أرسل مسلمة هو وصحبه في أيام عثمان من يخبره بشغب محمد بن أبي حُذيفة عليه[١٣٢] ، وكان مع الخارجين

(١٣٢) الولاة والقضاة (١٥) •

على أمير مصر لعلي بن أبي طالب قيس بن سعد بن عبادة[١٣٣] ومحمد بن أبي بكر من بعده[١٣٤] ، وقد شهد مع معاوية معركة (صفين) ، وكان من أكبر أعوان عمرو بن العاص في استعادة مصر من أميرها محمد بن أبي بكر وممن شهد قتله[١٣٥] ، وكان من الذين وطدوا أركان الدولة الاموية في مصر ، فلم يكن لمعاوية مناص من تولية مسلمة بعد أن ولى من قبله أمثاله من أعوانه المقربين اليه المخلصين له كعمرو بن العاص ومعاوية ابن حديج .

أما مسلمة فقد ولي أبا المهاجر دينار مولاه على (إفريقية) ، لانه كان من رجاله المقربين اليه الذين صمدوا الى جانبه في أيام الشدة ، والذين كانوا من أكبر أعوانه في السلم والحرب ؛ ومن الطبيعي أن يعتمد كل أمير جديد على أقرب أعوانه في تسيير دفة الحكم في البلاد التى تولاها . قيل لمسلمة : « لو أقررت عقبة فأن له جزالة وفضلا ! » ، فقال مسلمة : « إن أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافئه »[١٣٥آ] .

لذلك لم يستطيع معاوية ولا يزيد من بعده ان يعيد عقبة الى (إفريقية) على الرغم من خبرته الطويلة فيها ومعرفته الدقيقة لمسالكها ومداخلها ومخارجها وسكانها قبل أن يتوفى مسلمة سنة اثنتين وستين الهجرية[١٣٦] .

لقد كان عزل عقبة عن إفريقية ليس كرها له بل محبة بمسلمة ومكافأة له على خدماته واخلاصه للحاكمين حينذاك .

٥ ـ بعد موت مسلمة بن مُخَلَّد ، اضطر يزيد بن معاوية إلى

---

(١٣٣) الولاة والقضاة (٢١) .
(١٣٤) الولاة والقضاة (٢٧) وانظر العبر (١/٤١) .
(١٣٥) أسد الغابة (٤/٣٦٥) .
(١٣٥آ) فتوح مصر والمغرب (٢٦٦) .
(١٣٦) الولاة والقضاة (٤٠) والاصابة (٦/٩٨) والعبر (١/٦٦) وشذرات الذهب (١/٧٠) .

إعادة عقبة إلى (إفريقية) فاستعمله عليها سنة اثنتين وستين الهجرية[١٣٧] ، وقال يزيد : « أدركوها قبل أن يخربهـا[١٣٨] » ، ويريد بذلك : أدركوا (إفريقية) قبل أن يخرّبها أبو المهاجر • وعلى الرغم من أن أبا المهاجر أبلى بلاء حسناً في أعماله ، بل قام بأعمال مجيدة هناك كما سيرد تفصيله عند الحديث عنه ، ولكن ليس كل قائد يستطيع أن يملأ الفراغ الذي يملأه عقبة •

وأكاد أتبيّن بوضوح ، أن الحاجة الملحّة الى عقبة هي التي جعلت يزيد يوليه (إفريقية) ، وإلا فلا نعرف أن عقبة شغل نفسه في التيارات الساسية التي سادت في أواخر أيام عثمان وفي أيام الفتنة الكبرى وفي عهد معاوية ، فليس له ذكر في الفتن الداخلية ولا في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين ولا في محاولة معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد •••

لقد كان عقبة جندياً فقط ، لا تستهويه السياسة من قريب ولا بعيد •

فما هي حصيلة أعماله في عهد ولايته الثانية على (افريقية) التي امتدّت سنة واحدة وبضعة شهور ؟؟ •

أقولها بدون مبالغة ولا تحيّز : إنه في خلال هذه الفترة القصيرة ، حقق أعمالاً عسكرية باهرة بلغت حدّ الروعة والاعجاز •

لقد انطلق بكل اندفاع وحماس لتحقيق آماله وأمانيه في فتح افريقية من (القيروان) حتى المحيط الاطلسي ، وانجز ذلك في وقت قد لا يصدقه العقل عند دراسته من الناحية العسكرية البحت ، ولكن هذا هو الذي حدث فعلاً استناداً الى النصوص التاريخية الموثوق بها !!

ولم يكد يصل الى (القيروان) الا وترك الذراري والأثقال فيها ، وترك قوة مناسبة من رجاله لحمايتها ، ثم اندفع متغلغلاً في مجاهل المغرب متنقلاً من نصر الى نصر ناشراً الاسلام داعياً الى الله ، حتى وصل الى بلاد

---

(١٣٧) ابن الاثير (٣/١٨٤ ـ ١٨٥) •
(١٣٨) رياض النفوس (١/٢٢) •

(أسَفي)[١٣٩] على المحيط الاطلسي وأدخل قوائم فرسه في البحر المحيط ، ووقف ساعة ثم قال لاصحابه : « ارفعوا أيديكم » ففعلوا ، فقال : « اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً ، وإنك لتعلم أنما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو ان تعبد ولا يُشرك بك شيء . اللهم انا معاندون لدين الكفر ، ومدافعون عن دين الاسلام ، فكن لنا ولا تكن علينا ياذا الجلال والاكرام » ثم انصرف راجعا[١٤٠] .

وقد أخذ عليه بعض المؤرخين الاجانب وبعض المؤرخين العرب بعض المآخذ حول أعماله العسكرية في هذه الصفحة من صفحات معاركه ؛ ولعل أهم تلك المآخذ هي : عدم تأمين خطوط مواصلاته الطويلة التي قارب طولها الفي كيلو متر من القيروان الى ساحل المحيط ، وانه ترك بعض المدن المعادية دون أن يفتحها ودون أن يؤمِّن ظهره وخط رجعته تاركاً أعداءه متحصنين وراء ظهره ، وانه لم يكن له هدف واضح ولا خطة معينة[١٤١] .

وافترض هنا أن دافع هذا النقد هو عدم التخصص في النواحي العسكرية ، وبتعبير آخر أن هؤلاء المؤلفين لم يكونوا عسكريين من ذوى الاختصاص ، وقد يفترض غيري دوافع أخرى لهذا النقد .

ان تأمين خطوط المواصلات الطويلة في تلك الازمان ، كان بوضع حاميات في المراكز المهمة كالمدن والقرى والمراحل ومحلات عبور الأنهار ، وهذا ما فعله عقبة ، واذا كان قد وضع حامية في (القيروان) وهي مدينة اسلامية ، فهل يغفل عن وضعها في المراكز المهمة الاخرى ؟؟!!

واذا أغفل التاريخ ذكر تدابير عقبة في تخصيص تلك الحاميات والمسالح التي تهدف الى حماية خطوط مواصلاته ، فهل معنى ذلك انه لم يعمل على وضع تلك الحاميات والمسالح الضرورية لتأمين خطوط مواصلاته ؟! .

---

(١٣٩) أسفى : بلدة على شاطىء البحر المحيط بأقصى المغرب . انظر معجم البلدان (١/٢٣٢) .

(١٤٠) الاستقصا (١/٧٤) .

(١٤١) انظر فتح العرب للمغرب (٢٠٢ ـ ٢٠٤) والفتوحات العربية الكبرى (٦٣٤ ـ ٦٤١) .

إن خطوط المواصلات ، وهي التي تربط القاعدة الرئيسية أو المتقدمة بالجبهة هي الشرايين التي اذا لم تؤمّن بكل دقة لتتدفّق عليها وبواسطتها الامدادات والقضايا الادارية ، كان مصير القائد وقواته الفناء الأكيد ، فهل هناك قائد واحد في الدنيا كلها يغفل عن حماية خطوط مواصلاته ليلاقي هو ورجاله الموت والفناء ؟؟ .

إن تأمين خطوط المواصلات أمر بديهي لا يغفل عنه أي قائد ، فكيف يغفل عنه قائد مثل عقبة ؟ .

أما ان عقبة ترك بعض المدن دون أن يفتحها ، فقد حدث فعلاً ، ولكن لا غبار على تصرّفه هذا من الناحية العسكرية .

إن المبادىء العسكرية في حصار المدن تقول : « اذا لم تكن المدينة هدفاً سوقياً (ستراتيجياً) ، وخشي القائد مغبة تعطيل قواته لحصارها ، فبأمكانه تخصيص قوة مناسبة لمراقبتها ومنع العدو فيها من قطع خط المواصلات ، والانصراف بعد ذلك الى أهدافه الاخرى ؛ لان بقاء قواته الضاربة مدة طويلة لمحاصرتها سيضيع الوقت على القائد سدى وسيحرمه من تحقيق أهدافه الاخرى » .

ولست أشك أن عقبة طبّق هذا المبدأ في تغلغله عمقاً في (افريقية) ، فقد كانت المدن التي أجّل فتحها أهدافاً غير سوقية ، كما أن القوات المعادية التي تدافع عنها لا قيمة لها من الناحية العسكرية ، وكان قراره عن ترك حصارها وابقاء قوة مناسبة لمراقبتها ولحماية خطوط مواصلاته قراراً صائباً جداً .

أما الادعاء بان عقبة لم يكن له هدف واضح ولا خطة معينة للفتح ، فهذا ادعاء متهافت ، اذ كان هدفه هو هدف الفتح الاسلامي في كل مكان وهو : نشر الاسلام واعلاء كلمة الله ، وهذا ما صرّح به عقبة وما كان يتوخّاه . أما خططه العسكرية فهي التي أمنت له الانتصارات المتوالية بأقصر وقت وبأقل جهود وبقوة مناسبة ، والا فكيف استطاع الانتصار على أعدائه في معارك متسلسلة وفي عقر ديارهم ؟!

٦ ـ سلك عقبة في ذهابه من (القيروان) الى المحيط طريق الاطلس

التلي أما رجوعه فعلى شمال الاطلس الصحراوى ، لانه أقرب طريق الى (القيروان)، وقد نجا بتغيير طريقه من الفخاخ التي بنيت له[١٤٢] ، ذلك لان ابن الكاهنة البربرى خرج في أثر عقبة بعد مغادرته (القيروان) ، فكان كلما رحل من منهل[١٤٣] دفنه ابن الكاهنة ، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة الى (السوس) ولا يشعر عقبة بما صنع البربري[١٤٤] .

وأرى أن من جملة الاسباب التي حدث بعقبة إلى تبديل طريق عودته، هو انه شعر بما فعله ابن الكاهنة من تغوير المياه ، اذ ان المياه ضرورية للقوات ولحيواناتها فلا يمكن أن يغفل مثل عقبة عن استحصال المعلومات اللازمة عنها .

كما أنه بدّل طريق عودته ، لان قوات الروم والبربر ذات شأن وقوّة على جانبي طريق الذهاب القريبة من البحر والمدن ، وهي أقل شأناً وقوة في طريق العودة الصحراوي ، لذلك فالمقاومات المحتملة للمسلمين السائرين على هذه الطريق تأتي من سكانه البربر بالدرجة الاولى ومن حلفائهم الروم بالدرجة الثانية بعكس المقاومات على الطريق القريبة من الساحل الآهلة بالسكان والمدن .

كما قدّر أن الصحراء هي ميدان قتال العرب وليس ميدان قتال الروم ، لذلك كان قرار عقبة عن تبديل طريق عودته قراراً صائباً حقا .

ولكن محذور طريق العودة هو قلة مياهه ، وهذا العامل هو الذى حدا بعقبة الى أن يبعث بقواته ارسالاً حتى بقى أخيراً ومعه قوات قليلة تبلغ الثلاثمائة فارساً أو تزيد على هذا العدد الضئيل قليلا .

هذا هو الجواب للمتسائلين عن : « كيف أرسل عقبة قواته أمامه بقدمات متعاقبة وبقي مع قوات قليلة ؟ » .

إن قلة المياه في طريق عودته هي التي اضطرته الى ارسال قواته بقدمات متعاقبة ، لأن قلّة المياه تجعل الحركة على هذه الطريق بقوات

---

(١٤٢) تاريخ المغرب الكبير (١/٤٥) .
(١٤٣) المنهل : مكان شرب الماء .
(١٤٤) فتوح مصر والمغرب (٢٦٨) .

جسيمة أمراً مستحيلا .

واذا كان القائـد الذي يعرف مسؤولياته ويقدرها حق قدرها يكون دائماً في (المقدمة) أثناء التقدم وفي الهجوم ، فهو دائماً يكون في (المؤخرة) أثناء الانسحاب والعودة ، وهذا ما فعله عقبة فعلاً ، اذ بقي مع (الساقة) في عودته من المحيط الى (القيروان) ، وأشرف على حماية قواته حتى وصلت الى مثابتها سالمة وسقط هو وساقته شهداء من أجل القسم الأكبر من قوات المسلمين .

ألم يكن بأمكان عقبة أن يتقدم قواته فيصل مع المقـــدمة الى مدينة (القيروان) ؟ ألم يكن بامكانه أن يرافق القسم الأكبر من قواته ويترك قيادة الساقة لبعض من يعتمد عليهم من قادته فيكون هو بعيداً عن الأخطار ؟

لقد كان بامكانه أن يفعل ذلك غير ملوم ، ولـكن حرصه على أرواح قواته وسلامتها ، ولـكن تقاليده العسكرية العريقة ، ولـكن تطبيقه أسلوب القتال الذي ينص على : ان يكون قائـد القوم أقرب ما يكون الى الخطر ليعطي بمثاله الشخصي لرجاله أروع الامثال ... كل ذلك ابي عليه الا ان يزج بنفسه في الخطر المحدق لتنجو قواته الضاربة من خطر محيق ...

٧ ـ بقي علينا أن نجيب عن أسباب اساءة ابي المهاجر دينار عـزل عقبة ؟ وهل كان ذلك مجرد اجتهاد منه أم كان مدفوعاً من غيره ؟

الظاهر ان الشعبية التي كان يتمتع بهـــا عقبة في افريقية بين العرب والبربر المسلمين كانت طاغية ، لذلك قدّر أبو المهـــاجر انه لن يستطيع السيطرة على ولايته بسهولة ويسر ما لم يحجز حرية عقبة ولـــو الى فترة وقتية ، والظاهر ايضاً انه لم يكن ليقدم على مثل هذا العمل مالم يأخذ موافقة مسلمة بن مخلد سلفاً .

والدليل على أن أبا المهاجر كان يخشى عقبة ، أن معاوية لما أمر باطلاق سراح عقبة ، أرسله برسل من قبله حتى أخرجوه من (قَابِس)[١٤٥] وهو

(١٤٥) قابس : مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢) وتقويم البلدان (١٤٢ ـ ١٤٣) .

حنق على أبى المهاجر[١٤٦] ، فدعا عقبة على ابى المهاجر ، فبلغ ذلك أبا المهاجر ، فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته[١٤٧] ، مما يدل على أن أبا المهاجر كان يقدّر عقبة كل التقدير ، وانه كان لعقبة مكانة مرموقة في نفس أبى المهاجر •

وحين قدم عقبة مصر ركب اليه مسلمة بن مخلد ، وأقسم له بالله لقد خالفه ما صنع أبو المهاجر ، وانه قد اوصى ابا المهاجر به خاصة[١٤٨] ، وهذا الادعاء لا يبرىء ساحة مسلمة من اقدام ابى المهاجر على حجز حرية عقبة بعلمه ، اذ لم يكن بامكان مسلمة الا ان يعتذر الى عقبة بمثل هذا الادعاء ـ خاصة بعد استنكار معاوية لاعتقال عقبة وبعد ان أمر باطلاق سراحه ، وبعد أن علم أن عقبة في طريقه الى الشام لعرض ظلامته على معاوية بن أبى سفيان •

ولكنني اتبيّن من اقدام مسلمة على الموافقة على اعتقال عقبة واقدام ابى المهاجر على اعتقاله ، رغبتهما في ايثار المصلحة العامة على المصلحة الشخصية لعقبة ، اذ قدّرا ان عقبة لن يسكت بسهولة على عزله ، فاذا سكت هو فلن يسكت أنصاره وأقرباؤه من العرب ومن قريش بالذات •

ولكن هل كان عقبة من الذين يشغبون على أمرائهم خضوعاً لمصالحهم الشخصية ؟ أكاد أجزم بأنه ليس من اولئك النفر من الناس ، فقد كان عقبة مؤمناً حقاً ، ومثله يدوس بقدميه كل مصلحة شخصية له ، ولكنه حنق على اعتقاله أشد الحنق ، واستنكر عزله لان ذلك حال بينه وبين تنفيذ خططه التوسعية في الفتح •

وما يقال عن اعتقال عقبة ، يقال عن اعتقال ابى المهاجر الذى اعتقله عقبة في ولايته الثانية ، فقد أحسن أبو المهاجر في عمله واستمال قلوب كثيرمن اتباعه ـ خاصة من البربر وعلى رأسهم أميرهم (كسيلة) ، الذي كان صديقاً

---

(١٤٦) رياض النفوس (١/٢١) •
(١٤٧) فتوح مصر والمغرب (٢٢٦) •
(١٤٨) فتوح مصر والمغرب (٢٢٦) •
(١٤٩) رياض النفوس (١/٢١) •

حميماً لابي المهاجر ، فقد صالح أبو المهاجر بربر افريقية وفيهم (كسيلة) وأحسن اليه ، وكان (كسيلة) قد أسلم وحسن اسلامه وصحب أبا المهاجر[١٥٠] .

٨ ـ وأخيراً ، كلل عقبة حياته الحافلة بالجهاد المليئة بالنشاط والحركة لخدمة الاسلام ونشره ، بتضحيته بحياته ، فسقط شهيداً مع أصحابه الابطال .

فهل كانت خاتمته المفجعة والمشرفة في آن واحد نتيجة لأهماله وعدم تقديره عواقب الأمور ، أم أن هذه الخاتمة لم تكن متوقعة في تقدير موقفه العسكري ؟ .

الذي يتتبع الحوادث منذ بداية الفتح في افريقية على يد عقبة وعمرو بن العاص وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ومعاوية بن حديج وغيرهم من القادة الفاتحين الى امارة عقبة الثانية ، لا يجد أثراً ملحوظاً للبربر في الدفاع عن افريقية ، وكل ما لاقاه العرب المسلمون من مقاومة كانت من الروم ؛ ولا يخلو الأمر أن يكون مع الروم جماعة من الافارقة والبربر يؤدّون مهمة الجند ، أو المحافظة على الامن في الحصون والمدن ، ولكن لا توجد تلك التجمعات الكبيرة والجموع المحتشدة من البربر لردّ العرب المسلمين ولمقاومة فتحهم مثل ما حدث في أيام عقبة في امارته الثانية . وكانت كل مقاومات الروم مقتصرة على المدن الساحلية وعلى محاور الطرق الساحلية . كان العرب المسلمون يسلكون أيام الفتح الطرق التي تمر في قلب بلاد البربر وفي وسط منازلهم ، فكانوا يمرون ببرقة وهي موطن (لواته) ومنها يمرون بـ (سرت) وما بعدها الى طرابلس ، وهي مواطن (هوارة) ، ويقع على جنوب طريقهم الى افريقية جبل (نَفُوسَة)[١٥١] وهو موطن من مواطن قبائل البربر القوية ؛

---

(١٥٠) ابن الاثير (٤/٤٣) .

(١٥١) نفوسة : جبال في المغرب بعد افريقية عالية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٠٥) .

ومع ذلك لم يذكر المؤرخون لتلك القبائل البربرية أي نشاط عدائي لمقاومة الفتح الإسلامي قبل امارة عقبة الثانية[١٥٢] .

لعل من أسباب عدم مقاومة البرر للفتح الاسلامي قبل امارة عقبة الثانية ـ أو على الاصح ـ قبل عودة عقبة من المحيط الى (القيروان) ، اذ أنه في أيام تقدمه من القيروان الى المحيط سار لا يدافعه أحد[١٥٣] ، أن البربر كانوا ينظرون الى الروم نظرة المستعمر الغاشم ، فانتهزوا فرصة الفتح الاسلامي فخلوا بينهم وبين الروم انتقاما من الروم ، كما أن البربر نظروا الى الفاتحين الجدد نظرة المحرّر لهم من ربقة الاستعمار الذي طال تعسفه واستغلاله لمواردهم . كما أن الفاتحين بذلوا جهدهم لنشر الاسلام في صفوف البربر فعاون البربر المسلمون اخوانهم العرب المسلمين في الفتح .

ولكن عقبة أخطأ في معاملة رؤساء البربر ، فلما ولي عقبة عرفه أبو المهاجر محل كسيلة وأمره بحفظه فلم يقبل واستخف بكسيلة . وأتى عقبة بغنم فأمر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين ، فقال كسيلة : « هؤلاء فتياني وغلماني يكفونني المؤونة » ، فشتمه وأمره بسلخها ، ففعل ... فقبّح أبو المهاجر هذا عند عقبة ، فلم يرجع ! فقال له : « أوثق الرجل فاني أخاف عليك منه » ، فتهاون به عقبة ، فأضمر كسيلة الغدر ؛ فلما رأى الفرصة سانحة له جمع أهله وبني عمه وقصد عقبة[١٥٤] . وقيل : إن كسيلة انما اتى ناصراً لأبي المهاجر ، لأنه كان صديقه ، فقتل أبو المهاجر في التحام القتال ولم يعلم به[١٥٥] .

لقد أدرك أبو المهاجر خطأ عقبة في اضطهاد كسيلة ، فنصح عقبة أن يتألّف كسيلة ولا يستهين به فقال لعقبة : « أصلح الله الأمير ! ما هذا الذي صنعت ؟ ! كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب ،

---

(١٥٢) تاريخ الفتح العربي في ليبيا (٧٩) .
(١٥٣) رياض النفوس (١/٢٣) .
(١٥٤) ابن الاثير (٤/٤٣) .
(١٥٥) رياض النفوس (١/٢٥) .

كالأقرع بن حابس التميمي وعينية بن حصن ، وأنت تجيء الى رجل هو خيار قومه في دار عزّه ، قريب عهد بالكفر ، فتفسد قلبه ! توثق من الرجل ، فأني أخاف فتكه ! »، فتهاون عقبة ، فلما انصرف كسيلة نكث البربر ما كانوا عليه(١٥٦) .

لقد كان عقبة من أولئك القادة الذين يقسوون على رؤوس أعدائهم ليكونوا عبرة لأمثالهم فلا يقدمون على محاربة المسلمين ، وقد كان خالد ابن الوليد يطبّق هذا المبدأ في حربه الفرس والروم ، فنجح خالد وفشل عقبة ، لأن الفرس والروم لم يكونوا قبائل تعتدّ بالكرامة الشخصية وتؤمن بأخذ الثأر ، وتجلّ رؤساءها وتدين لهم بالطاعة ، وتعتبر كل اعتداء عليهم اعتداء على قبائلهم كما كان البربر ، وكما كان العرب أنفسهم ، فهم يعتبرون كل ذلك من جملة تقاليدهم العريقة التي لا يحيدون عنها قيد أنملة ويرون أن التغاضي عن الأخذ بتلك التقاليد عاراً دونه كل عار .

فكيف يُسلم البربر عظيماً من عظمائهم ورئيساً من رؤسائهم وهو كسيلة الى المذلة والهوان ؟ .

لقد استثار عقبة بمعاملة كسيلة معاملة فيها كثير من التحدي وكثير من الاستهانة به ذوي قرباه وأهله وقبيلته ، فعمل هؤلاء على جمع الحشود الضخمة من البربر حتى بلغ جمعهم خمسين ألفاً من المقاتلين(١٥٧) ، فما كان أحرى عقبة أن يتألف كسيلة وأمثاله لتكون سيوفهم له كما كانت لأبي المهاجر من قبله لا عليه كما اصبحت من بعد !

لقد كان عقبة قائداً لامعاً يليق للمعامع ، أما للسياسة فلا ...

٩ ـ لقد عمل عقبة على نشر الاسلام في ربوع افريقية عملا دائبا ، بل كان أول الفاتحين من العرب المسلمين الذي بدأوا بنشر رايات الاسلام في ليبيا ، وكان أول من تغلغل في مجاهل الصحراء الليبية وأول من تغلغل في مناطق افريقية جديدة مثل (فزّان) والمغرب الاوسط والاقصى ،

---

(١٥٦) رياض النفوس (٢٩/١) .
(١٥٧) رياض النفوس (٢٦/١) .

ولو لم يعمل عقبة وغيره من الفاتحين على نشر الاسلام بين البربر لكان مصير العرب المسلمين في افريقية بعد نكسة عقبة في معركة (تهوذة) مهددا بالفناء؛ فقد أسر محمد بن أوس في نفر يسير من أصحاب عقبة الذين شهدوا معه تلك المعركة واستشهد فيها عقبة ، فخلّصهم صاحب (قفصة) وبعث بهم الى (القيروان)[١٥٨] لأنه كان مسلماً . بل ان كسيلة نفسه حين دخل القيروان وكان بها أصحاب الأثقال والذراري من المسلمين ، فطلبوا الأمان منه فآمنهم[١٥٩] ، مما يدل على خشيته من الذين بقوا على الاسلام من رجال قبيلته ورجال القبائل البربرية الاخرى .

لقد جمع كسيلة جميع أهل المغرب ، وزحف الى (القيروان) ، فانقلبت افريقية ناراً[١٦٠] ، مما يدل على أن ثورة عظيمة شملت البلاد بأسرها بعد انصراف المسلمين وسقوط (القيروان) في يد (كسيلة) ، فكيف نعلّل هذه الثورة الا بأنه كان في افريقية حينذاك نفر عظيم لم يرضيهم سقوط (القيروان) في يد (كسيلة) ، فأثارهم ذلك وثارت المنازعات بينهم وبين أنصاره ؟ ؟ ومن يكون هؤلاء الذين ثاروا تلك الثورة الا بربراً مسلمين أو أنصاراً للمسلمين ؟ ذلك أن كل جند العرب قد عادوا الى (برقة) مع زهير بن قيس البلوي ، فكان أولى بأفريقية أن يهدأ حالها بعد انصراف المسلمين منها وخلاصها للبربر والروم[١٦١] .

لقد أشعل الفاتحون وعلى رأسهم عقبة جذوة الايمان بين سكان (افريقية) ، وهيهات أن تَخْبُوَ حتى يرث الله الارض ومن عليها .

ومن الانصاف الا نلقى اللوم كله على عقبة فى استثارة البربر في شخص رئيس من رؤسائهم (كسيلة) تلك الاستثارة التى أدت الى نكسة الفتح الاسلامي الى فترة امتدت الى سنة تسع وستين الهجرية[١٦٢] ،

---

(١٥٨) ابن الاثير (٤/٤٣) .
(١٥٩) ابن الاثير (٤/٤٣) .
(١٦٠) رياض النفوس (١/٢٨) .
(١٦١) فتح العرب للمغرب (٢٠٧) .
(١٦٢) ابن الاثير (٤/٤٣) .

ذلك لانه منذ حركته من (القيروان) الى المحيط ، وعودته من المحيط الى (القيروان) لم تصله أية امدادات عسكرية من يزيد بن معاوية ومن خلفائه من بعده ، فاضطر الى الاصطلاء بناره معتمدا على ما لديه من رجال ؟ والحرب بطبيعتها تحتاج الى الامدادات المستمرة بالرجال وبالقضايا الادارية ، خاصة اذا طالت خطوط المواصلات كما هو الحال في حرب عقبة ، تلك الخطوط التي امتدت الى أكثر من ألفي كيلو متر ، وتلك الحرب التي سقط فيها كثير من الشهداء والجرحى والمرضى .... الخ .

فقد كانت الدولة الاموية في تلك الايام تعاني كثيرا من الفتن الداخلية في العراق وخراسان والحجاز واليمن ، وكان عليها أن تعالج بما لديها من قوات تلك الفتن . لذلك لم تستطع أن تمدّ الجبهة الافريقية بما تحتاجه من جيوش ، حتى تولى عبدالملك بن مروان ، فذكر عنده من بالقيروان من المسلمين ، فأنفذ الجيوش الى افريقية لاستنقاذهم وذلك سنة تسع وستين الهجرية(١٦٣) .

ولكن ، هل كان تغلغل عقبة بالفتح عمقاً من القيروان الى المحيط شراً كله ؟؟

لاشك أن ذلك التغلغل العميق في افريقية لم يكن شراً كله على العرب المسلمين كما يتبادر الى أذهان غير العسكريين لأول وهلة ، بل كان فيه خير كثير على الفتح الافريقي ، وقد عاد بالنفع عليهم وعلى الفتح في المدى البعيد ، ونتائج الحرب ليست كلها آنية بل منها ما يظهر نفعه في المستقبل القريب أو البعيد ....

لقد حصّل الرواد الأولون للفتح الذين جابوا أقطار افريقية وأمصارها ومجاهلها من (القيروان) الى المحيط ، على معلومات مفيدة لا تثمّن عن طبيعة الأرض : مداخلها ومخارجها ، ومسالكها وخواص أرضها ومنابعها ومواطن الخيرات فيها ومواطن الجدب في انحائها .

---

(١٦٣) ابن الاثير (٤/٤٣) وسيرد تفصيل ذلك في ترجمة زهير بن قيس البلوى . انظر كتاب : قادة فتح المغرب ، الذى سيصدر قريباً .

وحصلوا على معلومات قيمة لا تثمن أيضاً عن طبيعة سكانها : أجناسهم ومزاياهم وقوتهم وأساليب قتالهم وأساليب معيشتهم ومواطن القوة والضعف فيهم ، وكيف يمكن التغلّب عليهم وكيف يمكن تجنّب الزلل في معاملتهم ، وما هي الطرق الناجعة لحربهم •

وحصلوا على معلومات عن تسليحهم وتجهيزهم وتنظيمهم ومواردهم الادارية وعدد حصونهم وقوتها وكيف يمكن التغلّب عليها •

هذه المعلومات عن طبيعة الأرض التي يجرى القتال عليها ، وعن العدو وعن تسليحهم وتنظيمه وتجهيزه وموارده ، ضرورية جـــــداً من الناحية العسكرية ، وهي التى تيسر لـكل قائـد الفرص الكاملة للانتصار ، وبدونها يسير القائـد أعمى في الظلام ، وما أسهل اندحار الأعمى الذى يسير فـي الظلام •

وهذه المعلومات تحصّل تارة من الأدلاء وتارة من العيون والأرصاد ، وتارة بمفارز الاستطلاع ••• كما تحصل تارة بالقتال حين لا يكون من القتال مفر •

ومثل هذه المعلومات لا يتردد القائد لـكي يحصل عليها أن يستفيد من كل منابعه ومن ضمنها القتال •

إن استشهاد عقبة وأصحابه لـم يذهب عبثاً ، بـل زوّد المسـلمين بمعلومات حيوية لا تنضب عن عدوهم وعن أرضه ، وقد اقتطف المسـلمون ثمرات استشهاد عقبة بعد ست سنوات من استشهاده ، فكان فتح افريقية الى المحيط فتحاً (مستداماً) منذ كان حتى اليوم •

ولو قدّر لعقبة أن يبقى حياً لما استطاع أن يديم ما فتحه ، لأن الدولة الأموية كانت تدور في دوامة من الفتن والاضطرابات الداخلية حينذاك ، وكانت مشغولة عن كل شيء خارجي حتى الفتح لأنها مكرسة كل طاقاتهـا ومواردها المادية والمعنوية للقضاء على تلك الفتن والاضطرابات •

يكفي أن نذكر من تلك الفتن والاضطرابات : كارثـة استشـهاد

الحسين بن علي ووقعة الحرّة بالمدينة المنورة سنة ثلاث وستين الهجرية[١٦٤] وثورة عبدالله بن الزبير وحصار مكة سنة أربع وستين الهجرية[١٦٥] وتوجّه مروان بن الحكم الى مصر لاستعادتها من أصحاب ابن الزبير سنة خمس وستين الهجرية[١٦٦] ، وحدوث الوباء العظيم بمصر وثورة المختار بالعراق ووقعة الخازر بالعراق سنة ست وستين الهجرية[١٦٧] ، ونشوب القتال المرير بالعراق بين المختار الثقفي وبين مصعب بن الزبير سنة سبع وستين الهجرية[١٦٨] ، حتى لقد اضطر عبدالملك بن مروان الذي تولى الخلافة سنة خمس وستين الهجرية الى دفع الأتاوة لملك الروم : كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين[١٦٩] ، وحتى تفرّق المسلمون الى درجة وقوف أربعة ألوية في عرفات في سنة واحدة في موسم الحج هي سنة ثمان وستين الهجرية[١٧٠] ، هذا بالاضافة الى الفتن الاخرى كثورات الخوارج وثورات أقرباء بني أمية .... الخ .

فهل كان بامكان بني أمية ـ وهذا وضعهم وهذا ما يعانونه ، أن يديموا جيوش افريقية بالامدادات ؟ وهل كان بامكان عقبة أن يديم ما فتحه بدون امدادات ؟ .

لقد كانت غزوة عقبة التي امتدّت من (القيروان) الى المحيط ، فشلاً تعبوياً[١٧١] ، ولكنها كانت على كل حال نصراً سوقياً (ستراتيجياً)[١٧٢] ،

---

(١٦٤) العبر (١/٦٧) .
(١٦٥) العبر (١/٦٩) .
(١٦٦) العبر (١/٧١) .
(١٦٧) العبر (١/٧٣) .
(١٦٨) العبر (١/٧٥) .
(١٦٩) ابن الاثير (٤/١١٩) .
(١٧٠) ابن الاثير (٤/١١٥) .
(١٧١) التعبية : الاعمال العسكرية في المعركة . والفشل التعبوى يؤثر على نتائج معركة محدودة ولا يؤثر على نتائج الحرب كلها .
(١٧٢) السوق : الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب . والنصر السوقي ، يعني نتائج الحرب كلها لا نتائج معركة واحدة . انظر الرسول القائد (١٢٥) .

ولا يعد الفشل التعبوي شيئاً يذكر الى جانب النصر السوقي •

١٠ـ فما هي سمات قيادة عقبة ؟

كان عقبة يؤمن ان رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحــده وكثرة ذكره ، والاستعانة به والتوكل عليه والفزع اليه ومسألته التأييد والنصـر والسلامة والظفر ، وكان يؤمن أن النصر هو من الله جلّ ثناؤه[١٧٣] ، وكان يعتقد أن الانتصارات الاسلامية هي انتصارات عقيدة يحملها الى العالم مؤمنون صادقون ، ويذود عنها حماة قادرون •

وكان يحب رجاله ويحبونه ، ويثق بهم ويثقون به ، وقد بلغت ثقتهم به حداً جعلهم يعتقدون أنه مجاب الدعوة ؛ فكان يتفقد اصحابه فيما يعود عليهم بالنفع ، ويستزيد محسنهم بالتكرمة ، ويغضّ الطرف عن مسيئهم في الامور الطفيفة غير ذات البال ، ويستعتب مقصّرهم بحسن الأدب استعتاب مستعتب له ، غير مغتنم للزلة ولا معترض للعثرة ، ولا مستريح الى كشف غامض العورة[١٧٤] •

وكان ميمون النقيبة ، كامل العقل ، طويل التجربة ، بعيد الصوت ، بصيراً بتدبير الحرب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، يحسن تعبئة أصحابه ، ويدخل الأمن عليهم والخــوف على عدوّهم ، مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو ، وكان حسن السيرة عفيفاً صارماً حذراً متيقظا سخياً[١٧٥] •

وكان ذا شجاعة وحزم وديانة[١٧٦] مستقيماً فصيح القول نزيهاً شريفاً، ولـكنه كان يفتقر الى الكياسة والدبلوماسية[١٧٧] ، فقد كان جندياً فحسب من أخمص قدمه الى قمة رأسه ، ولم يكن يعرف أساليب السياسة وأحابيلها ولفّها ودورانها •

---

(١٧٣) مختصر سياسة الحروب (١٥) •

(١٧٤) مختصر سياسة الحروب (١٦) •

(١٧٥) مختصر سياسة الحروب (١٧) •

(١٧٦) سير أعلام النبلاء (٣/٣٤٩) •

(١٧٧) الفتوحات العربية الكبرى (٦٣٦) •

وكانت له قابلية على اصدار القرارات السريعة الصائبة ، ذا ارادة قوية ثابتة وشخصية رصينة متزنة يتحمل مسؤوليته كاملة بلا تردد ، له نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، يعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ، وله ماض ناصع مجيد .

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادىء الحرب ، نجد انه طبق مبدأ (المباغتة) في حروبه ، وكانت حروبه (تعرضية) ، يعمل على (تحشيد قوته) قبل المعركة ، و (يقتصد بالمجهود) ويطبق مبدأ (الأمن) ويعمل على (ادامة المعنويات) ويذلل كافة (الأمور الادارية) لقواته ويحسب لها أدق حساب .

لقد كان عقبة من ألمع القادة الممتازين الذين برزوا في الصدر الأول من أيام الفتح الاسلامي .

عقبة في التاريخ

يذكر التاريخ لعقبة ، أنه كان من أبرز قادة الفتح الاسلامي ، ومن أحرص دعاة الدين الاسلامي .

لقد كان أول من نشر الاسلام في زويلة والصحراء الليبية وفي النوبة والسودان وفي أصقاع كثيرة من المنطقة الشاسعة الكائنة بين القيروان والمحيط الاطلسي ، « فأسلم البربر وكانوا نصارى ، وفشا الاسلام الى ان اتصل ببلاد السودان وبالبحر المحيط »[١٧٨] .

وكان نشر الاسلام في افريقية ــ نهاية الاستعمار الفكري فيها وبداية الاستقلال الفكري ، ذلك الاستقلال الذي أمد افريقية المسلمة بطاقات لا تنضب من القوة والمنعة وبالمصل الواقي من المبادىء الوافدة التي بذلت جهوداً جبارة منذ انحسار مد الفتح الاسلامي حتى اليوم لتحويل تلك البلاد عن عقيدتها ــ دون جدوى .

---

(١٧٨) جمل فتوح الاسلام ــ ملحق بجوامع السيرة ــ لابن حزم (٣٤٤) .

ويذكر له أن فتح أو شارك في فتح كل أصقاع افريقية العربية المسلمة (مصر وليبيا والجزائر ، وتونس ، ومراكش ، وموريتانيا والسودان) ، فكان فتحه وفتح أصحابه القادة الفاتحين فتحاً (مستداماً) ، لأنه كان فتح عقيدة ومبادىء لا فتح استغلال واستعباد .

لقد شارك في فتح مصر وكان أول من فتح زويلة والصحراء الليبية وبعض كور السودان ، وأول من وصل الى المحيط الاطلسي ، وأول من مهّد لفتح (النوبة) وأول من أدخل العرب فاتحين الى (فزّان) وأول من بنى (القيروان) لتكون مدينة عربية اسلامية خالصة ولتكون القاعدة المتقدمة للفتح الاسلامي في افريقية .

لقد كان له جهاد مشرف في أيام ولايته الاولى لنشر الاسلام في البلاد الكائنة من قناة السويس الى القيروان وفتح تلك المناطق أو المشاركة في فتحها .

وكان له جهاد مشرف في أيام ولايته الثانية لنشر الاسلام في البلاد الواقعة ما بين القيروان والمحيط الاطلسي .

لقد انتهى من فتحه الاول بالعرب المسلمين الى أعماق الصحراء ، وانتهى في فتحه الثاني الى المأهول من افريقية الى المحيط .

واخيرا ، بذل روحه الغالية رخيصة لبناء صرح الفتح الاسلامي في افريقية ، فبقي ذلك الصرح شامخاً صلباً صلداً متماسكاً تهاوت تحت أقدامه محاولات الصليبيين في القرون الوسطى ومحاولات الاستعمار الحديث لتكون تلك البلاد قطعة من أوربة ..... فكان قدوة حية لأحفاده البررة الذين تساقطوا شهداء ليبقوا مسلمين طيلة القرون الطويلة ، ويكفي أن نذكر أن مليون شهيد قدموا أرواحهم رخيصة لتبقى الجزائر فقط قطعة من مكة المكرمة والمدينة المنورة وبغداد دار السلام والشام والقاهرة .

ترى ! هل يعرف أبناء مصر والسودان وليبيا والجزائر وتونس

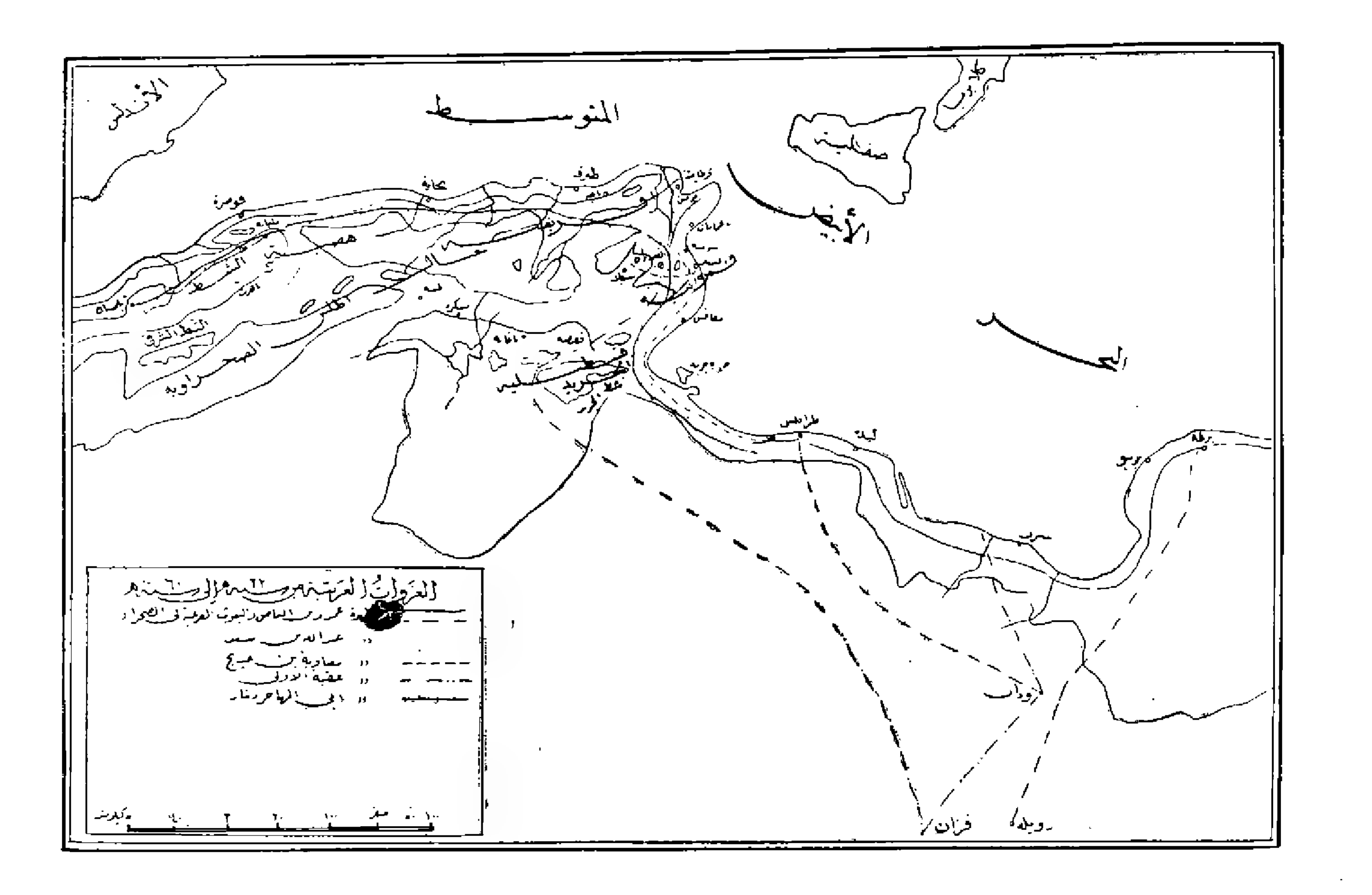
ومراكش وموريتانيا[١٧٩] اليوم من هو عقبة وماذا قدم من أجلهم من تضحيات جسام ؟ وهل يعرفون أنه كان من أوائل قادة الفتح الذين أدخلوا العرب في بلادهم ومن أوائل رواد الدعوة الذين أدخلوا الاسلام في ربوعهم ؟ ؟

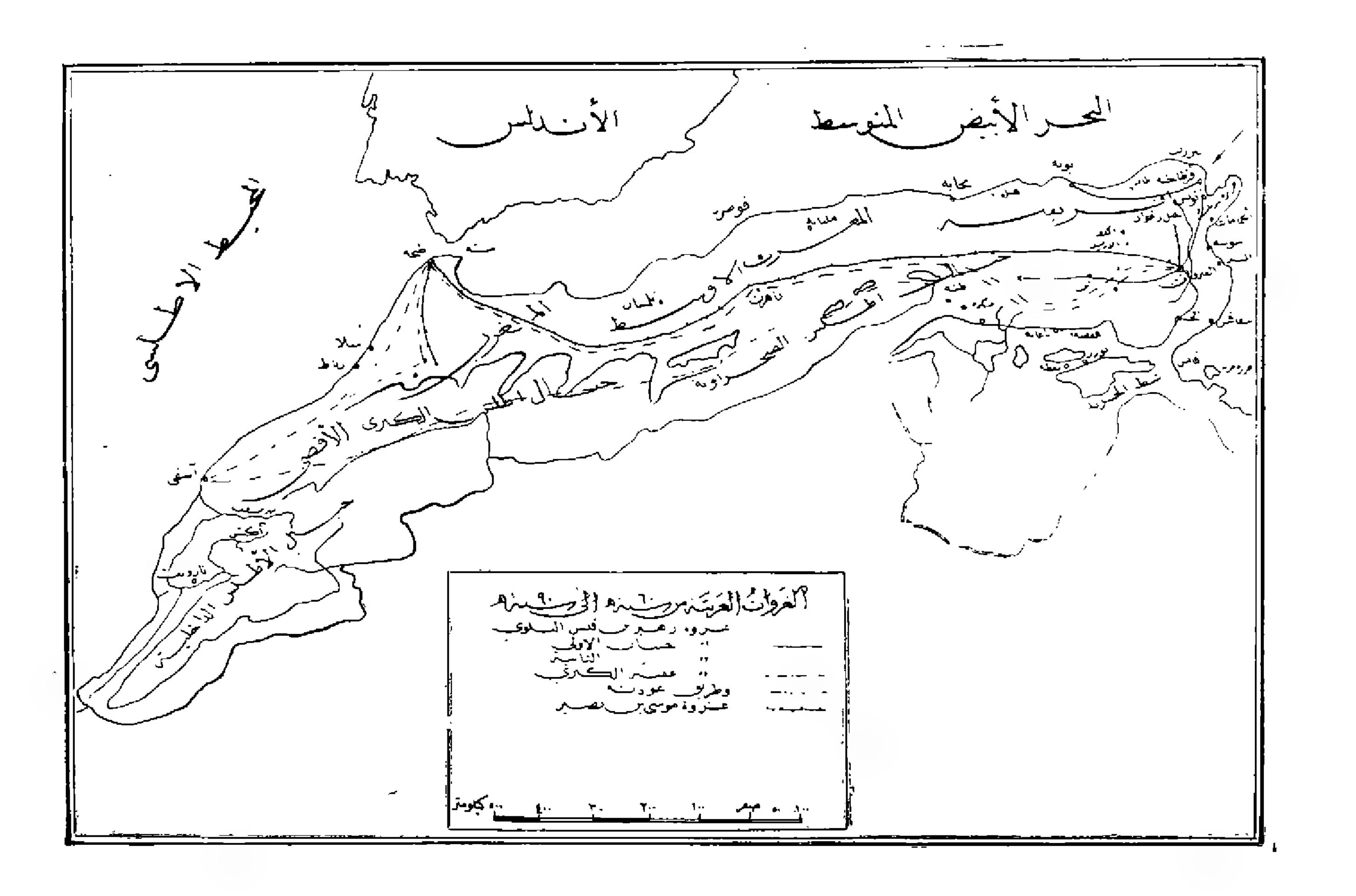
رضي الله عن القائد الفاتح ، الفارس الشجاع ، البطل الشهيد ، عُقْبَة بن نافِع الفِهري القرشي .

---

(١٧٩) آمل من حكومات وشعوب افريقية العربية المسلمة ان تدرس سيرة هذا القائد البطل في مدارسها ، وأن تطلق اسمه على كلياتها وشوارعها ومعالمها ، وأن تخلد ذكره بانشاء المكتبات والمستشفيات والمعاهد والكليات باسمه ، وتنشر البحوث عنه . وآمل من الحكومة المغربية أن تعمل على تحقيق مكان وقوفه على ساحل المحيط الاطلسي وتنشيء جامعا شامخا هناك .

ان ذلك أقل ما نأمله من افريقية العربية المسلمة ، ليعرف أبناؤها البررة مكانة عقبة وأثره في جعل بلادهم عربية اسلامية .


المتوسط
الأبيض
البحر
الأندلس
طرابلس
فزان
ودان


البحر الأبيض المتوسط
الأندلس
المحيط الأطلسي
المغرب الأوسط
المغرب الأقصى
طنجة
تلمسان
تاهرت
القيروان
الغزوات العربية من سنة ٦٠ه إلى سنة ٩٠ه
غزوة زهير بن قيس البلوي
حسان الأولى
الثانية
عقبة الكبرى
وطريق عودته
غزوة موسى بن نصير
كيلومتر

المراجع

ابن الأبّار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار) ـ كتاب الحلة السيراء ـ حققه وعلّق حواشيه الدكتور حسين مؤنس ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٣م •

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعزالدين) •

١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ المطبعة الاسلامية ـ طهران ـ ١٣٧٧هـ •

٢ ـ تجريد اسماء الصحابة ـ دائرة المعارف النظامية ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣١٥هـ •

٣ ـ الكامل في التاريخ ـ مطبعة ذات التحرير ـ القاهرة ـ ١٣٠٣هـ •

ابن حجر (شهاب‌الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر) ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ المطبعة الشرقية ـ القاهرة ـ ١٣٢٥هـ •

ابن حزم (أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم) •

١ ـ جمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ـ •

٢ ـ جمهرة أنساب العرب ـ تحقيق وتعليق عبدالسلام هارون ـ مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٨٢هـ •

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي) ـ كتاب صورة الأرض ـ

منشورات دار الحياة ـ بيروت .
ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيدالله المعروف بابن خرداذبة) ـ المسالك والممالك ـ أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه في طهران ـ ١٩٦٣م .
ابن خلدون (يحى بن محمد بن خلدون) ـ بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ـ الجزائر ـ ١٣٢١هـ .
ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون المغربي) ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ مطبعة بولاق ـ القاهرة ـ ١٢٨٤هـ .
ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر بن رسته) الأعلاق النفيسة ـ مطبعة ليدن ـ ١٨٩١م .
ابن سعيد (ابن سعيد الأندلسي) المُغْرِب ـ في حلى المَغْرِب ـ الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة ـ ١٩٥٣م .
ابن عبدالبر (أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر) ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ تحقيق علي محمد البجاوى ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة .
ابن عبدالحكم (أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم القرشي) ـ فتوح مصر والمغرب ـ مطابع لجنة البيان العربي ـ القاهرة .
ابن عذارى المراكشي (أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشي) ـ البيان المغرب في أخبار المغرب ـ مكتبة صادر ـ بيروت .
ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه) ـ مختصر كتاب البلدان ـ طبع ليدن ـ ١٨٨٥م .
ابن كثير (عمادالدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ـ البداية والنهاية في التاريخ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة .

ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري) ـ السيرة النبوية ـ تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد ـ مطبعة حجازي ـ القاهرة ١٣٥٦هـ .

أبو الفدا (اسماعيل بن علي عمادالدين صاحب حماة) .

١ ـ تقويم البلدان ـ دار الطباعة السلطانية ـ باريس ـ ١٨٤٠م .

٢ ـ كتاب المختصر من أخبار البشر ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة ـ ١٣٢٥هـ .

أبو المحاسن (ابن تغرى بردى الأتابكي) النجوم الزاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٤٨هـ .

الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي) ـ المسالك والممالك ـ تحقيق الدكتور محمد جابر عبدالعال الحسيني ـ دار القلم ـ القاهرة ـ ١٣٨١هـ .

الطاهر أحمد الزاوي ـ تاريخ الفتح العربي في ليبيا ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٧٣هـ .

الباجي (أبو عبدالله محمد الباجي المسعودي) ـ الخلاصة النقيّة في أمراء افريقيّة ـ مطبعة بيكار ـ تونس ـ ١٣٢٣هـ .

البشّاري (المقدسي المعروف بالبشاري) ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ مطبعة ليدن ـ ١٩٠٦م .

البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري) المغرب في ذكر بلاد افريقيّة والمغرب ـ طبع دى سلان (De slan) ـ الجزائر ١٩١١م .

البلاذري (أحمد بن يحى بن جابر البلاذري) .

١ ـ انساب الأشراف ـ الجزء الأول ـ تحقيق الدكتور محمد حميدالله ـ دار المعارف للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م .

٢ ـ فتوح البلدان ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م .

الجيلالي (عبدالرحمن محمد الجيلالي) ـ تاريخ الجزائر العام ـ المطبعة

العربية ـ الجزائر ـ ١٣٧٥هـ •
حسن حسني عبدالوهاب ـ خلاصة تاريخ تونس ـ الطبعة الثالثة ـ تونس •
الحنبلي (أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي) ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مطبعة المقدسي ـ القاهرة ـ ١٣٥٠هـ •
خطّاب (محمود شيت خطّاب) ـ الفاروق القائد ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ١٣٨٤هـ •
الدبّاغ (عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصاري) ـ معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ـ تونس ـ ١٣٢٠هـ •
الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي) •
١ ـ سير أعلام النبلاء ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنّجد ـ مطبعة دار المعارف ـ القاهرة •
٢ ـ تاريخ الاسلام ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٣٦٨هـ •
٣ ـ دول الاسلام ـ مطبعة حيدر آباد الدكن •
٤ ـ العبر ـ تحقيق فؤاد سيد ـ مطبعة الكويت ـ الكويت ـ ١٩٦١م •
الزبيري (أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري) ـ نسب قريش ـ مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٥٣هـ •
الزركلي (خيرالدين الزركلي) ـ الأعلام ـ الطبعة الثانية ـ مصر ـ ١٣٧٣ ـ ١٣٧٨هـ •
السلاوي (أحمد بن خالد الناصري) ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ـ القاهرة ـ •
السيوطي (عبدالرحمن بن ابي بكر جمال الدين السيوطي) ـ تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ـ المطبعة المنيرية ـ القاهرة ـ ١٣٥١هـ •
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ـ تاريخ الأمم والملوك ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ١٣٥٨هـ •

الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري) ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطـــرق والمســـالك ـ اعتنى بتصحيحــه بولس راويس ـ مطبعة الجمهورية ـ باريس ـ ١٨٩٤م .

عبدالحميد (سعد زغلول عبدالحميد) ـ تاريخ المغرب العربي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٦٥م .

عبدالسلام بن سوده ـ دليل مؤرخ المغرب الأقصى ـ تطوان ـ ١٩٥٠ .

عبدالواحد المراكشي ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ طبعة مصر ـ ١٣٢٤م .

غلوب (جون باجون غلوب) ـ الفتوحات العربيّة الـكبرى ـ تعريب وتعليق خيري حماد ـ منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ١٩٦٤م .

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) ـ آثار البلاد وأخبار العباد دار صادر ودار بيروت ـ ١٣٨٠هـ .

الـكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي) ـ كتاب الولاة والقضاة ـ مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ـ ١٩٠٨م .

المالـكي (أبو عبدالله بن ابي عبدالله المالـكي) ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيَّة وزهادهم وعبادهم ونساكهم وســير من أخبارهم وفضائلهم ـ نشر حسين مؤنس ـ القاهرة ـ ١٩٥١م .

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي) ـ الأحـــكام السلطانية والولايات الدينية ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٠هـ .

محمد بن عبدالسلام بن عبود ـ تاريخ المغرب ـ دار الطباعة المغربيّة ـ تطوان ـ ١٩٥٧م ـ الطبعة الثانية .

محمد علي دبوز ـ تاريخ المغرب الـكبير ـ مطبعة عيسى البابي الحـلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٤هـ .

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) ـ مروج الذهب ـ تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد ـ مطبعة السعادة ـ

القاهرة - ١٣٨٤هـ - الطبعة الرابعة •
مؤنس (الدكتور حسين مؤنس) - فتح العرب للمغرب - مطبعة مصر - القاهرة •
الميلي (مبارك بن محمد الهلالي الميلي) - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - مكتبة النهضة الجزائرية - الجزائر - ١٣٥٠هـ •
النووي (أبو زكريا محي‌الدين بن شرف النووى) - تهذيب الأسماء واللغات - المطبعة المنيرية - القاهرة •
هازارد (هاري •و• هازارد) - أطلس التاريخ الاسلامي - ترجمة ابراهيم زكي خورشيد - مطبعة مكتبة النهضة المصرية - القاهرة •
الهرثمي (صاحب المأمون) - مختصر سياسة الحروب - تحقيق عبدالرؤوف عون - مطبعة مصر - القاهرة - ١٩٦٤ •
ياقوت (شهاب‌الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي) •
١ - المشترك وضعاً والمفترق صقعاً - طبع سنة ١٨٤٦م وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه سنة ١٩٦٣م •
٢ - معجم البلدان - مطبعة دار السعادة - القاهرة - ١٣٢٣هـ •
اليعقوبي (أحمد بن يعقوب) •
١ - كتاب البلدان - مطبعة ليدن - ١٨٩٢م •
٢ - تاريخ اليعقوبي - مطبعة الغري - النجف - ١٣٥٨هـ •

الفهارس

الأعلام

(ق)

(ك)

(ل)

الأمـاكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ز)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

التعابير العسكرية

(أ)

١ ـ الإدامة : ٤٦ .

تزويد الجيش بالرجال والسلاح والعتاد والتجهيزات والمواد والنقلية والمواد الإدارية الأخرى ، وتصليح عطب السلاح والعتاد والنقلية والمواد في معامل الجيش .

٢ ـ ادامة المعنويات : ٤٨ .

المعنويات : هي الصفات التي تميّز الجيش المدرّب عن العصابات ، بها تظهر الطاعة القائمة على الحب والولاء ، وتبرز بها الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق ، وبها تبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعاً مقداماً صبوراً .

وإدامة المعنويات : جعل المعنويات عالية والمحافظة على مستواها الرفيع في القوات المحاربة وفي الشعب . وإدامة المعنويات مبدأ من مبادىء الحرب .

٣ ـ الاقتصاد بالمجهود : ٤٨ .

مبدأ من مبادىء الحرب وهو : استخدام أصغر القوات للأمن ، أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر ، أو صدّ قوة معادية أكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة من الحرب ، وهي النصر على العدو .

٤ ـ الإمدادات : ٤٤ .

تقوية الجيش بالرجال والسلاح والعتاد والتجهيزات والمواد والنقلية ، وإكمال الخسائر من هذه المواد ومن القضايا الادارية الأخرى .

٥ ـ الأمن : ٤٧ ـ ٤٨ .

مبدأ من مبادىء الحرب ، معناه : توفير الحماية للجيش المقاتل

ولمواصلاته لوقايته من المباغته ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن ذلك الجيش ٠

(ت)

٦ ـ تحشيد القوة : ٤٨ ٠

مبدأ من مبادىء الحرب ، معناه : حشد أعظم قوة معنوية ومادية، واستخدامها في المكان والزمان الجازمين ٠

٧ ـ التعبية : ٤٦ ـ ٤٧ ٠

أ ـ التدريب على أساليب القتال لأحراز النصر ٠

ب ـ الخطط التعبوية : هي خطط معركة معينة في ميدان معين ٠ ومن ذلك يتضح أن الخطط التعبوية تعنى نتائج معركة واحدة محلية (Tactics) ٠

٨ ـ التعرّض : ٤٨ ٠

مبدأ من مبادىء الحرب ، وهو الهجوم على العدو لسحقه ٠

٩ ـ تقدير الموقف : ٤٠ ٠

التفكير فيما يحتمل أن يعمله العدو ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لاحباط خططه ٠ ولتقدير الموقف عند العسكريين أسلوب معيّن ، يعينهم على التفكير المنظّم للوصول الى خطط عسكرية سليمة ٠

(ج)

١٠ـ الجبهة : ٣٥ ٠

هي قسم من ساحة الحركات ٠ وساحة الحركات : هي الساحة التي يتمكن أحد الخصمين أو كلاهما من إجراء القتال فيها ٠

(ج) : جبهات ٠

(ح)

١١ـ الحامية : ٣٥ ٠

قوّة من الجيش تحمي منطقة مهمة أو حصناً مهماً أو مدينة مهمة مهددة من العدو ٠ (ج) : حاميات ٠

(خ)

١٢ـ خطوط المواصلات : ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٤٤ •

هي الخطوط التي تربط الجيش بقاعدته ، كالطرق البـرية والبحرية والجوية •

(ر)

١٣ـ الرباط : ١٩ •

حماية ثغر من الثغور مهدّد من العدو • والمرابط : أحد رجال القوة التى تحمى ذلك[1] الثغر •

١٤ـ الرتل الخامس : ١٨ •

جماعة من العدو أو من أهل البلاد ، يحاولون نقل المعلومات عن قواتنا الى العدو ، أو يبثون الاشاعات الكاذبة التي تزعزع معنويات الجيش والشعب ، أو يحاولون تدمير خطوط مواصلاتنا ، فهم جماعة من المخربين والجواسيس والعملاء • ويطلق على تعبير الرتل الخامس في بعض البلاد العربية تعبير : الطابور الخامس •

(س)

١٥ـ الساقة : ٣٨ •

قوة من الجيش تخرجها المؤخرة لحمايتها من مباغتة العدو لها ولمنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواتنا •

١٦ـ السوق : ٣٦ ـ ٤٦ ـ ٤٧ •

هو الخطط العسكرية التي تؤثر على نتائج الحرب كلها لا على معركة معينة فقط (Strategy) •

(ق)

١٧ـ القاعدة الأمينة : ١٨ ـ ٢٠ ـ ٣٢ •

---

(١) للرباط معان أخرى كثيرة ، اقتصرنا على ذكر المعنى العسكري فقـط •

القاعدة : هي البلاد التي يستند عليها الجيش قبل شروعه بالحركات • والقاعدة الأمينة : هي القاعدة المحميَّة من العدو بالرجال وبالتحصينات وباجراءات الأمن الأُخرى •

١٨ـ القاعدة الرئيسية : ٣١ – ٣٦ •

هي القاعدة التي تكون بعيدة عن ساحة القتال وعن أخطار العدو ، وتكون عادة عاصمة البلاد أو بلاد الجيش المقاتل الاصلية •

١٩ـ القاعدة المتقدمة (الأمامية) : ٣١ – ٣٢ – ٣٦ – ٤٩ •

هى القاعدة القريبة من ساحة القتال التى يتمون الجيش منها ويستند اليها في حركاته ، ويجب أن تكون أمينة محمية من تهديد العدو •

٢٠ـ القسم الأكبر : ٣٨ •

أ ـ قلب الجيش •

ب ـ قوة الجيش الضاربة •

٢١ـ القضايا الادارية : ١٦ – ٣٦ – ٤٤ •

مبدأ من مبادىء الحرب ، وهي تأمين متطلَّبات الجيش من أسلحة وعتاد ومواد وتجهيزات ونقليَّة وطبابة وبيطرة ومعامل تصليح وأرزاق وعلف ووقود ••• الخ •

(م)

٢٢ـ المباغتة : ١٦ – ٣١ – ٤٨ •

مبدأ من أهم مبادىء الحرب ، والمباغتة أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب ، وتأثيرها المعنوى عظيم جداً ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير قائد العدو •

وهي ضرب العدو من مكان لا يتوقعه ، أو في زمان لا يتوقعه ، أو باسلوب قتال لا يتوقعه ، أو بسلاح جديد مؤثر لا يستطيع مقاومته •

٢٣- المثابة : ٣٨ .

أ - موضع اجتماع القائد بجيشه .

ب - موضع اجتماع القائد أو الآمر بجماعة الأوامر ، وهم الذين يتلقون أوامره للقتال . (ج) : مثابات .

٢٤- المسلحة : ١٨ - ٣٥ .

جماعة مسلّحون معدّون للقتال . (ج) مَسَالِح .

٢٥- المقَدّمَة : ٣٨ .

قوة مناسبة تخرج أمام القسم الأكبر لحمايته من مباغتة العدو له ، ولمنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواتنا (ج) : مقدمات .

٢٦- المؤَخَّرَة : ٣٨ .

قوة مناسبة تخرج خلف القسم الأكبر لحمايته من مباغتة العدو له ، ولمنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواتنا . (ج) : مؤخرات .

تصنيف التعابير العسكرية

الأمور الادارية

التبعية

السوق

مبادىء الحرب

واجبات الأركان

الموضوعات